الرسالة التي ايقظت

●

الكلمة التي القيت باسم منشىء « الاديب » في المهرجان الأدبي الحافل الذي اقامته في الشهر الماضي المدرسة العلمانية في عابا – الكورة لبنان تحت رعاية « اسرة الاديب »

✡

بعدلي

على هذه الرابية ، وفي كنف هذا المعهد العريق ، ان ارفع الصوت باسم « اسرة الاديب » شاكراً لكم هذه الحفاوة البالغة التي قامت على اصول من الايمان المشترك بالقضية الواحدة ، وعلى تجاوب الآراء في سبيل العروبة والفكر الحرّ والادب الرفيع والفن الذي لا يعرف حداً ولا سدا . . . ولا استطيع الا ان انوّه بأثر «الكورة» العزيزة التي ساهمت دائماً في كل حركة بعث وتحرير انطلقت من لبنان ، فنحن هنا في العرين الحصين الذي اطلع ويطلع دائماً اعلام الادب والوطنية والفكر . وان لدعوتكم هذه معنى آخر كريماً وهو يستهدف تأييدنا في الكفاح الشاق من اجل الرسالة التي حملتها الاديب في اظلم فترات الزمن لتصل ما انقطع بين بلد وبلد ، وقطر وقطر على ضوء الحرف الحيّ والخلق والابداع .

وما احسبني في حاجة الى التبسط في عرض رسالة الاديب في هذا الجو الذي يخفق بالعقيدة الثبت والتطلع البعيد ، ولكن الذي لا بد من قوله في هذه المناسبة الاشارة الى ما عانيناه ونعانيه في وطن اضطربت فيه الموازين وعششت في جنباتـه افاعي الدسّ للقومية ، تارة باسم الفكر الحرّ وتارة باسم الحرص على لبنان ، وليس احرص منا نحن على لبنان ، فرسالتنا قبس من رسالته في الانفتـاح الذي لا حدّ له ، على ان يكون ميسمُ هذه الرسالة عربياً كالشمس وكالعهد به في اصوله وفروعـه ، وان الذين يحاربون رسالتنا ليعلمون علم اليقين باننا لا نرجو سوى الخدمة لا النعمة والتضحية ، لا المغانم ، والارتفاع بلبنان لا الانخفاض به في زوايا الانكماش والعزلة .

نريد تقدماً ويريدون تأخراً . . . والزمن معنا لانه في وثبته الدائمة يدوس عـلى الانهزاميين التأخريين ، واننا هنا جئنا لنجدد لكم العهد باننا سنظل كما تعهدون جنود فكرة وعقيدة لا رواد تجارة وتضليل .

وليس أبهج لي في هذا اليوم من الاعتداد بما تلقاه رسالة الاديب من التشجيع والفهم عند كل مخلص تقدمي ، فهذا خير اجنيه انا ورفـاقي ، وهذا غنم ليس فوقه غنم ، وربح تزول الدنيا ولا يزول . . .

اكرر شكري لكم ، واترك الكلام لسواي ، فليتجاوب في هذا الجو الرائع صوت الحق الذي طالما دوّى من على هذه الرابية ، وليكن مهرجانكم اليوم بساطاً للود بما سنسمع منكم وتسمعون منا ، والسلام عليكم .

الاديب

من باريس ... الى سلوى*

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

☆

عزيزتي سلوى :

سأدع الآن باريس العصرية بألوانها الصاخبة وروحها الهجين المدمرة، كيما أفرغ قليلا لباريس العتيقة، تلك التي طالما حلمنا بها قبل أن نراها، وظننا أنا ملاقوها، وكنا واهمين : فقد لفظت أنفاسها الاخيرة أو كادت. كادت لان ثمت بقعة مدفونة على الضفة اليسرى لا تزال تحمل من ثمار المدينة العتيقة قدراً ظل حتى اليوم بعيداً عن متناول ذلك الجاني المخرّب الذي يسمونه «مشروع التحسين الصحي لمدينة باريس» وهو في حقيقة الامر «مشروع التخريب الكامل لكل عريق في باريس». ولعل تلك اليد «الرحيمة» لم تمتد بعد الى هذا الحي لانه «حي العرب» كما يسميه اصدقاؤنا العرب في باريس، لانه يضم في الواقع شمل الجالية العربية وبخاصة عرب أفريقيا الشمالية، ويكاد يسيطر عليه أبناؤها : من أفخر مطاعمه ومقاهيه حتى أدناها شأناً : من «مقهى القرن العشرين» الفاخر الى أبعد حدود الترف والزينة، حتى «مقهى باريس القديمة» وما اليه من مقاه متواضعة تتردد فيها النبرات العربية، ممزوجة في اغلب الاحيان بالنبرات الفرنسية !

خلفت «المدينة» La Cité من ورائي تترنح أبنيتها الفاحمة في لهيب الأصيل في ذلك اليوم الرهيب القيظ في اواخر حزيران، وكنيسة نوتردام تتواثب ابراجها وسهامها بين فيوض النور في سورة من الوجد المشبوب بجذوة العشق الآلهي، يحرسها الفارس الكبير شارلمان من فوق جواده الاصيل في غيرة تجمع بين التقوى والجبروت والفتيات الزاهيات الالوان يتدافعن مستطارات فوق «جسر سان ميشيل» ومن مخارج محطات المترو في حركة سريعة لا تكاد تجد لها تعليلا . فأين هنّ — ولك الغفران يا سلوى — من فتياتنا اللواتي ترى في وجوههن استسلام رخي الأحلام وفتور الليل الطويل . وعبثاً حاولت ان أجد لديهن تلك النظرات الحالمة والحركات الساجية التي تشارك في الصمت النبيل او تحمل على الدعاء والابتهال . ماذا أقول : بل كنت لا أملك نفسي أحياناً من العدو خلفهن لا لشيء الا للمشاركة في هذه الموجة المنتشرة حولهن

وهاأنذا قبالة تمثال القديس ميشيل في ميدان سان ميشيل : والتمثال قد أسند الى جدار ومن تحته نافورة تتواثب أمواهها حتى تجذب اليها ذلك الجن الذي جندله القديس ميخائيل ! ومن حوله أربعة أعمدة تحمل الفضائل الاربع الرئيسية، وكل هذا يؤذن وأنت داخل هذا الحي بما سيستقبلك فيه من قداسة : دينية وعلمية . ولا أكتمك أن هذا التمثال الذي صنعه ديريه Duret يغلب عليه طابع باروكي ثقيل، فما عتمت ان نفرت منه وخلفت الميدان عن يسار الى الحي العتيق، «حي العرب»، كما نسميه، و «حي سان سفران» كما يسميه أصحابه الفرنسيون .

مررت خلال أزقة متعانقة تحمل بيوتاً ران عليها صدأ الزمان، وتعاورتها سلسلة متصلة من المقاهي والحانات، وأغلب اصحابها من الاجانب، وفي الليل تكمن فيها حركة لا تخلو أحياناً كثيرة من العنف. ها هوذا شارع لا آرب La Harpe ببيوته الشائقة التي تدعو الى الاستطلاع الآثم . وبعد قليل في الجانب الشرقي من شارع البارشمنريه Parcheminerie تلقى حديقة صغيرة فيها تمثال نصفي لأميل فرهيرن، الشاعر البلجيكي المتغني بالصناعية الفنية العصرية والمدنية ذات الأخطبوط والآلة، حتى كان صريعها من فرط غرامه بها !

ثم بلغت كنيسة سان سفران الغارقة في مسوح القداسة الرهيبة وهي تعود الى القرن السادس حين نشأت هيكلًا صغيراً أنشأه راهب

* راجع الجزء الثامن والجزء التاسع من السنة الخامسة .

متوحد يدعى سفران ، ظهرت كراماته في إبراء أبرص فاستطارت شهرته الى كاوفيس فدعاه الى بلاطه ، وأجزل له العطاء لانه شفاه من هبوط قواه ، بيد أن الراهب انصرف عن المال والدنيا وقنع بخلوته هذه على الضفة اليسرى من السين . ثم احترق على يد النورماندييين في القرن التاسع ، ولعل رفاته أن يكون قد نقل الى مكان آخر قريب ، فما لبث ان ظهرت فوقه الكرامات ، فبني عليه هيكل سمي باسم آخر راهب دفن فيه ، وهو سان جان باتيست سان جوليان . وهكذا فقدت الكنيسة الحالية شفيعها الاول ، ولسنا نعلم بعد على وجه التحقيق من هو شفيعها المقيم بها . وعلى كل حال فالكنيسة الحالية قد اعيد بناؤها في القرن الحادي عشر واستمرت تبنى أقسامها في القرن الخامس عشر ، وجرى فيها بناء ظاهر في القرن السابع عشر . وهي على كل تحمل طابع عصرين بارزين : القرن الثالث عشر والقرنين الخامس عشر والسادس عشر ولهذا ترى فيها الطراز القوطي المتصاعد جنباً الى جنب من الطراز الحديث في القرن السادس عشر . ومع هذا، فلا تخلو في مجموعها من انسجام . ولعل من اجمل ما فيها ألواحها الزجاجية ، وبخاصة وردة الواجهة .

وطالما كانت هذه الكنيسة مأوى النبلاء الحالمين ! فكأين من طالب عالم جثا عند اقدام تمثال سان سفران ضارعاً اليه ان يهبه بسطة في الفهم . ودانتي يقال انه اوى اليها وصلى في رحبتها ابيانوس ونفسه . وسان سانس ، الموسيقي الفرنسي المشهور ، قد اعجب بأرغنها الى حد انه منح نفسه لقب عازف ارغن على شرف هذه الكنيسة . ولكم مجدها ويمانس بعد ان دلف الى الايمان العتيق في حس النادم ، فدعا لروحه الكابية بالخلاص ، ولنفسه الشاردة بالاهتداء الى السبيل القويم الذي ظل سادراً عنها طويلا في شبابه ومطلع رجولته ، ولم لا يطلب منها الهداية ، وشفيعها المزعوم سان سفران هو شفيع الفرسان الرحالة وهذا الفارس الضال في غابة الشهوة الآثمة يسأل المغفرة واتخاذ السراط المستقيم . ولعله وجد في اضوائها الفاحمة وعطورها المخدرة المستسلمة وظلماتها الموحية ما يتجاوب كل التجاوب مع أحواله النفسية الطارئة عليه في ذلك الحين .

ولا أريد ان أثقل عليك ، اي سلواي ، يا من تنفرين من التجريد الفكري وتميلين الى الحياة الزاهية ، فلأدع القديس سفران مترحماً عليه وعلى الاموات الذين يرقدون في كنيسته ، عملاً بالنقش الموجود على بابها ، وفيه : « أيها الطيبون الذين تمرون من هنا ، ادعوا الله لأرواح الموتى الراقدين » .

ولنخط بضع خطوات الى أمام حتى قبيل كنيسة سان جوليان الفقير ، فقبلها فناء عن يمينه بيوت هرمة ، أريد أن اقتادك الليلة معي الى كهف فيها يدعى « كهف الاوبلييت » Caveau des Oubliettes حيث نستمع الى الاغاني الفرنسية القديمة .

أظلم الحيّ وسكنت كل نأمة فيه ، وكسته الظلمة مسوحاً كمسوح الرهبان . والحانات المترامية في الشوارع المحيطة لا يكاد ينبعث منها الا شعاع ضئيل ، كأننا في حي من تلك الاحياء القديمة في مدننا الشرقية ، وبخاصة القاهرة ودمشق ، ولولا أن الرطانة الاجنبية المتصاعدة من بعض المارين العابرين تنبهك الى مكانك ، فتنتزعك من الاحلام الرطبة التي كنت بسبيل الانحدار الى أغوارها .

أواه ! ماذا يحملني على التردد مرة اخرى على هذا الكهف ؟ أهو الاغاني وحدها ؟ كلا ! وآية ذلك أنني تحسست قلبي وأنا أهبط الدرج الصغير الملتوي المنحدر بنا الى غرف الكهف ، فوجدته يخفق تعجلاً وفرحاً . ماذا إذن ! نعم ! نعم ! انها الفتاة التي ألقت بعض هذه الأغاني في المرة الاولى هي التي تتهدج على اطيافها أنفاسي . فتاة في ثياب ريفية عتيقة ، أرخت ذيولها الحمراء المخططة ، ونهد صدرها الرائع تحت دراعتها ذات الواجهة من القطيفة السوداء ، وقد صففت شعرها الذهبي على شكل هرمي تناسب مع وجهها المستطيل ، وفي عيونها الخضر نظرات تجمع بين الاستعلاء والاغراء فتقدم ثم تحجم وتحجم ولكنك ما تلبثان تقدم ، وعلى شفة كل الرائدين كلمة يود كل ان يقولها لها لولا نظرة باشق لا تعتم ان ترد الكلم الآثم الى فم صاحبه فلا يستطيع النطق به ، ولكن لسان حال الحاضرين طوال غنائها وترددها بين صفوفنا سعياً وراء تقديم المشروبات وتقاضي الاثمان يقول : حنانيك ! أيها البلبل الورد معاً ، أو لعل فمها هو البلبل وخدودها الأسيلة المستسلمة للنظرات الجامحة هي الورود ، والعشق بينهما متبادل مشبوب ! فيا شعراء ايران الذين طالما تغنيتم بعشق البلبل للورد ، تعالوا هنا فتغنوا بالبلبل الورد!

غنتنا في هذه الليلة اغنية « فتاة تونكين » ، فقدم لها صاحب المغنى ، وهو يلبس قباء احمر تحت رقبته قطعة مستطيلة ناصعة البياض فكان منظره عائداً بالذاكرة الى العصور المتطاولة ، وراح يخبرنا عن هذه الاغنية وكيف انشدت للمرة الاولى فلم تثر شيئاً ، اما في الثانية فقد غزا طلاب الحي اللاتيني المسرح وظلوا يكررون بعد كل مقطع هذه العبارة : A Poil (عارية) ، فاضطرب أمر المسرح

الفرد والمجتمع

بقلم فدري قلعجي

من بشائر النهضة الاجتماعية في بلادنا ، ان يرى بعض شباننا ، وشاباتنا ايضاً ، عيوب مجتمعنا ، وان ينفروا منهـا ، وان يتطلعوا الى مجتمع افضـل تقل فيه هـذه العيوب او تتلاشى جميعاً ، فان رؤية الفساد وانكـاره والتبرم به اول خطوة في سبيل اصلاحه او ازالته ، ولكن الخطر على هذه النهضة ان يعتقد هؤلاء الشبان ، بان شعورهم بتلك العيوب من دون غيرهم او اكثر من غيرهم ، واحساسهم بضغط الاوضـاع الاجتماعية السائدة المبيدة لشخصية الفرد ، دليل على انهم من طينة خاصة غير الطينة التي جبل منها ذلك المجتمع ، فينادون الى الخروج عليه او الى اعتزاله ، وقد لا يتردد احدهم في القول بان الاهتمام « يجب ان ينصب بكليته لا لتجبيل قوى الناس في جبلة واحدة هي الوطن ، بل يجب ان نفتح ذهن الفرد بحرية ، ونفك عنه القيود ، ونطلق اجنحته ، ليشعر ان الوطن كله حبة في قلبه ، وان عليه الاعتناء بحبة قلبه والسهر على راحتها ونموها » وبان « علينا ان نحرر الانسان من المجتمع ، لأن نجعله آجرة في جدار ، او حجراً في بنيان ضيق » وغير ذلك من الاقوال التي يحرص قائلها على جمـال الصيغ البيانية والالتماعات الشعرية ، اكثر من حرصه على تماسك المعنى ودقة التحليل ووضوح الغاية ، وهي اقوال ان دلت على شيء فانما تدل على ان صاحبها قد عجز عن فهم مجتمعه وتبين الطرق المؤدية الى اصلاحه ، فآثر الهرب من ميدان البحث ومعترك الكفاح ، الى ما يسميه انقاذ الفرد من الذوبان في المجتمع لانه هو وحده « قبل وجود فكرة المجتمع مجتمع بذاته (كذا) ، وان علينا ان ننظمه كوحدة منفردة تنظيماً سامياً نبيلاً » ! ناسيا انه بدعوة الفرد الى هذا الاتجاه ، انما يفقده لذة الحياة التي تتعرى من معناهـا الأصيل اذا لم يشعر المرء فيها بانه جزء من كل وبأن هذا الكل هو الانسان المناضل ضد القوى التي تقاوم تطوره وتحدّ من حريته ، واذا لم يجسد فكرة متطورة ذات فعالية محركة في المجتمع والتاريخ . ان صفة الحياة الاساسية هي التفاعـل ، وكل فرد يتخلى عن المجتمع – اذا سلمنا بأن ذلك ممكن – بحجة الانطواء على نفسه لمعرفتها وبنائها ، انمـا ينكر التفاعل بينه وبين الناس ويتخلى بذلك عن كل علاقة حية .

ومثل هذا التوجيه لا يصدر الا عن امرىء يدرس الظواهر الاجتماعية منعزلة ، خارج العلاقات المتبادلة التي تجمعها في كل واحد ، ويواجه الاشياء ليس في حركتها بل في سكونها ، وليس في تطورها بل في ثباتها ، وليس في حياتها بل في موتها . ومن ثم فهو ينظر الى الفرد كشيء قـائم بذاته ، لا صلة بينه وبين الكون والمجتمع ، فيفقده بذلك كل قيمته وكل قوته الحيوية ، وينسى ان المجتمع هو الذي انتقل بالفرد من الحياة الحيوانية الى الحياة البشرية ، ومن طور البداوة الى طور الحضـارة ، ومن صعيد الغريزة الى صعيد

وكان اضطرابه سر شهرتها ، خصوصاً في الحي اللاتيني في العشرين سنة الاولى من هذا القرن . وما كاد يلقي هو علينا نحن الحاضرين هذا الشرح ، حتى تلقفنا العبارة وصرنا نرددها بكل حماسة ، ولعلي أنا كنت من اكثرهم حماسة ! ! فمن ذا الذي يبصر هذه الفتاة الرائعة الجمال ولا يصرخ من أعماق نفسه وبكل قلبه راجياً – ولو باللفظ – أن يرى هذا الجمال صافياً « عارياً » في هذا الكهف الرهيب تحت الأضواء الشيطانية التي تغمره فتدفع خلالها الاشباح والارواح ، وتنطلق في أجواز جو الكهف جنيات حوريات ترفرف بأجنحتها النورانية على نفوسنا الغرثى !

وكانت تلك الاغنية خاتمة سلسلة من الاغاني التاريخية من مختلف العصور ، يشرح ذلك الرجل تاريخها وأصحابها وكيف قوبلت من الناس ، واكثرها يمتاز بالمرح الماجن الى حدود بعيدة في احيان كثيرة . ولكنها تعيد الى النفس أطياف العصر الوسيط بفرسانه وشعرائه التروبادور والتروفير ، ورماحه – وقد نصب رمحان على جانبي المنصة – ، وتدور بها خلال تاريخ فرنسا الحديث حياً على أفواه أبناء الشعب ، وتسبر اغوار النفس الفرنسية بما طبعت عليه من ميل الى التهكم والمجون والعبث الرشيق مع حب انفعال وحرية في التعبير المكشوف . وكل هذا في اطار عتيق يعطيك اللون المحلي بطريقة قوية مؤثرة .

فكأين من معان ثمينة أفدتها من هاتين الشفتين القرمزيتين ، شفتي باكلين فوكونييه – وهذا اسمها ، معان تعمر العقل والقلب معاً !!

باريس — عبد الرحمن بدوي

الوعي والشعور ، فهو اذن مجموعة علاقات اجتماعية قبل ان يكون مجموعة ميول وعواطف ، لانه لم يصبح انسانـاً مدركاً ذا عقل وتفكير الا في الحياة الاجتماعية العـاملة المنتجة المتطورة ، والا بالتفاعل الاجتماعي الحافز المبدع الملهم .

وفي اعتقادي ان مبعث امثـال هذه الاتجاهات الخطرة في تفكير فريق من شباننا ، هو انكارهم اثر البيئة الاجتماعية في الانسان ، وتوهمهم ان في وسعهم صنع المجتمع كما يريدون ، او كما يلائم اذواقهم ، ارتجالا ، وربما بصورة عفوية ، فاذا ما تبينوا صعوبة هذا المطلب بل استحالته ، واعترضتهم في السير نحوه مئات العقبات والعراقيل ، يئسوا من اصلاحه او تغييره ، ورأوا ان من الايسر عليهم الانضمام الى صفوف الساخطين المتبرمين القائلين بالوقوف خارج المجتمع (اين ؟ وكيف ؟) لبناء « افراد » ممتازين ! .

ومن هنا يبدو ان المشكلة الاساسيه ليست في التساؤل هل الافضل ان نذوب في المجتمع او ان يذوب المجتمع فينا ، كأنه لا بد من الذوبان على كل حال ، وكأن ارادتنـا هي التي تقرر الامور مستقلة عن اوضاع البلاد وحاجاتها وسننها ، بل هي قبل اي شيء اخر تعيين الظروف التي يستطيع الانسان معها ان يؤثر في المجتمع ، وهذا يعني ضرورة النظر الى المجتمع نظرة علمية – وليس نظرة شخصية خيالية – لمعرفة قوانين حركته وتطوره ، والعلاقات الاجتماعية الخاصه بالطور الذي بلغه من اطوار الحضارة المـادية والفكرية ، حتى اذا عرف المرء هذه القوانين والعلاقات ، فهم الحوادث التي تحيط به بجميع تشابكاتها وتفاعلاتها ، واستطاع من ثم التأثير في المجتمع بالعمل مع قواه النامية وضمن سيره الصاعد ، اي انه يستطيع التأثير في المجتمع بقدر ما يراعي واقعه الحي ، ويعبر عن حاجاته الجديدة وضرورات تطوره العام ، ويساير حركة القوى النامية فيه . وبمعنى آخر : ان كل مجتمع يتمخض بمجتمع جديد ، وتتصادم فيه تيارات رجعية وتقدمية ، منحلة ونامية ، فاذا وقف الانسان المتفوق مع قوى الرجوع المتداعية وتبنى بوعي منه او بغير وعي افكارها ومصالحها واهدافهـا ، وقف في وجه التطور التاريخي ، وعجز عن التأثير الحاسم في مجتمعه ، وان تبين له او لغيره العكس في اول الامر . واذا هو وقف مع القوى المتقدمة الصاعدة وتبنى بوعي منه او بغير وعي افكارها ومصالحها واهدافها ، سار في موكب التطور التاريخي ، واستطاع ان يؤثر تأثيراً حاسماً في صيرورة مجتمعه ، وان يمثل فيه دور القائد البناء والربان المرشد وإن تبين له او لغيره العكس في وقت من الاوقات .

وان من ينظر الى المجتمع بمثل هذه النظرة العلمية الواعية ، لخليق بان يتضاءل عداءه له وتخوفه منه واعتقـاده بانه واياه على خصام دائم وتنافر مستمر ، لا يستطيع ان ينمو الا على حساب المجتمع ، ولا يستطيع المجتمع ان ينمو الا على حسابه ، لانه يرى انه هو والمجتمع ضحية الاوضاع التي تجعل من النـاس ، او من اكثريتهم الغامرة ، اداة استغلال في يد فئة قليلة ، او افرادا قليلين وترغمهم على انفاق نشاطهم الحيوي في توفير لوازم الحياة وضرورات البقاء المادية فلا يستطيعون الافـادة من مواهبهم وكفاياتهم على وجهها الصحيح ، ولا تجد شخصياتهم الاسباب الضرورية لنموها وتطورها كما تشاء او كما ينبغي لها .

وهكذا يبدو ان الفرد ، ولا سيما الفرد المتفوق ، انما يجب ان يعمل مع مجتمعه ، وليس خارج هذا المجتمع او بالاستقلال عنه ، لتغيير تلك الاوضاع ، وانشاء افراد ممتازين ضمن مجتمع ممتـاز ، وافراد احرار في مجتمع حر : مجتمع لا تكون حرية الفرد فيه محدودة بحرية الآخرين بل تكون شرطاً لحريتهم ومكملاً لها ، ولا تكون مصلحته متناقضة مع مصلحة المجموع بل مرتبطة بها مندمجة معها . مجتمع يسيطر على المادة بدلا من ان يكون عبداً لها ، ويوفر لكل فرد فيه امكان التقدم والتطور وانماء شخصيته المبدعة بالتعاون مع الآف وملايين من الشخصيات تحررت من الاغلال التي تعوق تقدمها وتطورها فسارت قدماً في طريق النمو والابداع .

ذلك هو المجتمع الافضل ، حلم الانسانية على اختلاف عصورها ، وقد أصبح الان من الممكن انتقاله من عالم الحلم الى عالم الحقيقة لتوافر الظروف اللازمة لتحقيقه من صناعة وعلم وفن .

ذلك هو مجتمع الانسان ، الانسـان الجديد بهذه التسمية ، الذي يصنع تاريخه بارادته الواعية ، وفق حاجاته ومطامحه ، ويسير الظروف المادية التي كانت تسيره نحو الاهداف الفكرية التي يريد .

وكل محاولة اخرى لانشاء افراد ممتـازين على ضفة مجتمع فاسد ، انما هي محاولة مخفقة لا تؤدي الا الى بقاء الفساد ، وبقاء الانيار التي ترهق الانسان وتحقره ، وتقضي على مواهبه وكفاياته ، وتمنعه عن انماء شخصيته الانسانية المنطوية على الف امل واعد ، ولا تخدم الا الفئات المنحلة المتداعية في المجتمع التي لا تخشى شيئاً بقدر ما تخشى التفكير البصير الناقد لانه يفضح عيوبهـا ويظهر حقيقتها ، ولا تتمنى شيئاً بقدر مـا تتمنى رؤية المفكرين وقد انطووا على انفسهم وتنادوا الى الهرب من واقع الحياة .

قدري قلعجي

كيف صور الجاحظ طبقات المجتمع

بقلم خليل شرف الدين

☆

هل تجد أصعب من رسم الخوالج النفسية ، والعيوب الخلقية ؟ ومن استعراض الألوان الاجتماعية التي لا تنساق الا للذهن النشيط ، والموهبة الفذة، انه لمن السهل ان تنقل احساساتك وحركاتك الباطنة بنفسك وترى العالم كما هو مطبوع في قرارتك ، او كما تريده ان يكون ، ولكن الأعسر منه ان تصور التفاعل النفسي عند كل شخص ،عند المثقفين من الاشخاص ، نظراً لتعقد نفسية اولئك المثقفين وتعدد ملامحها ، ثم تضع نفسك في مواضع شتى لتكون كالممثل ، والممثل للعمل الروحي ، لا بالحركات العضوية والاشارات ، وبعبارة ملموحة : ان تصور الوجود كما يريد هو ان يكون . . . ان في ذلك لجهداً وعسراً وعبقرية . . . كان الجاحظ من هذا النوع ، وكان موفقاً الى الغايـة ! ! . ومجتمع ابي بحر متنوع الوجوه ، والثقافات ، والعادات ، بتنوع الامم التي تهافتت على مائدة الامة العربية الخصبة ، من الروم والفرس واليونان ، والهند والصين ، هـذا الخليط العجيب المركب،القوي التركيب،الغامض التعقيد، يحمل في حنايا نفسه ، وفي قسمات وجهه آثار القوم الذين عاش فيهم قبلاً وورث عن خصائصهم ويتمم بما أوحته الحضارة العربية من جديد مضافاً الى قديمهم فكان من ذلك زيادة في صعوبة التصوير .

وأنى للريشة بين الدهن والزيت ان تنفذ لتصور، وأنى للوحة ان تتمكن من قبول الرسم ؟ ! ! ولكنه قلم الجاحظ وشخصه الموهوب العجيب ! . . .

بعد هذه العجـالة ، الى أي مدى استطاع اديب العربية ان يجري في حلبة الوصف والسيكولوجية الاجتماعية ، وما هي السبل التي سلكها ؟ وما اثرها في روح العصر الاجتماعية او تأثرها بتلك الروح ؟

— الجاحظ موهوب ، والجاحظ وفق في صقل حسه وعقله ليكون اكثر اتصالاً بالاشياء ، واقوى احاطة بنواحيها المترامية ومن طبيعة الأديب ان يتأثر بما يحيط به قبل غيره من سائر الناس ، وان يكون تأثره كاملا ، لذلك يجيء حديثه عن تأثره اسرع واصدق واكمل . عاش بين الطبقة التي يتحدث عنها او يصورها ، وعاش دونها وفوقها ، فهو خبير بالقياس النظري والتطبيقي ، لم تخف عليه شاردة واقعية ، ولم يغفل عن الاختراع والتفنن اذا دعـا الأمر الى ذلك ، يرفده اطلاع واسع لم يعرف لغيره من ادباء العربية حتى عصرنا الحاضر ، بل لم يعرف لأديب عالم في عصره وقبله مطلقاً . وحسبك منه انه كان أعلم الناس بالنفسية الاجتماعية واقدرهم على فهمها ووصفها، وانه اتخذ من الموضوعات التافهة التي لا يأبه لها الناس والموضوعات الضيقة المحدودة ، عناوين لكتب ضخمة مترعة بالفن والاغراء الادبي ، عالية بالاسلوب المرح الطلي بقدر ما هي سهلة الى نفسك .

والجاحظ لا يعرض للصورة النفسية ، والموضوع السيكولوجي عرضاً عاماً ، بل يتحدث عن كل جزء من الجزئيات ويحلله تحليلا دقيقاً غير ممل ، حتى يخلق من كل عضو جسداً ، ومن كل حركة وجدانية نفساً كاملة ، ثم يشيع فيها الحياة من روحه وأدبه ، فاذا بها تطير . . . ان الجاحظ خلّاق فني مبدع فاق علماء النفس المعاصرين او كاد ، بدقته ولطفه وبواقعيته وتطبيقاته ، لا بالنظريات الخيالية التائهة كما يفعل الكثير من علماء اليوم .

تلك الطريقة لم تعرف الا في الادب الاوروبي الحديث،زعماً انها من مبتكراته، فهم يقولون: « ان موضوع الادب هو نقد الحياة باشكالها وانواعها » وهذا ما وضح بيانه بخصوص ادب الجاحظ فكأنه لم يخلق لعصره بل تقدمه ، بل كأنه خلق في طليعة

ادباء القرن العشرين، ولكن الزمن الماضي استعاره من المستقبل ليكون احدى طفرات الادب العربي الحي ...

كان الادب في عصر الجاحظ لا موضوع له، فاستطاع ان يجعل له موضوعاً «الحياة» كل شيء في الحياة، من الضفدعة الى اللص فالقَفّا، فالكتاب، فالعظماء ... الى ما هنالك من تعدد وتنوع. وخاصة الجاحظ في التصوير ظاهرة في كتبه التي عرفت له، ولكنها في «البخلاء» و«التربيع والتدوير» اظهر واوضح. في «البخلاء» استطاع الجاحظ ان يعطينا صورة رائعة قلّ ان قابلها صورة في متحف الزمن. اخذ من هذا الموضوع المهين نقطة للبدء بخطوطه وألوانه وقد كان من آثار ذلك ان عرف الناس بطرق «الدعاية» والاقتصاد و «علم النفس» مع ان الجاحظ لم يؤلف لهذه الاغراض، ولم يكن سبيله خلقياً او دينياً او اجتماعياً بل كان همه «فنياً» ان يكتب للذة التي يحسها في نفسه، كما تقول النظرية التي عاشت في القرن التاسع عشر «الفن للفن» لا بل كما يقول وحي كتاب «الاخلاق» لارسطو، انه لم يؤلفه للارشاد الى التخلق، بل للفن واللذة الادبية. — بعد ان عرض الجاحظ لسؤال سائل اجاب — وهو السائل وهو المجيب — عن خصال البخلاء، فحلل نفسية البخيل وكتب في تمويهه وتدليسه، ومراتب البخلاء، وتعدد نواحيهم ووجهة نظرهم وبواعث بخلهم وجنون عقولهم ومواقع خطأهم، حتى يجعلك تؤمن بما يؤمن بل قد تؤمن بما لا يؤمن ...

وبخلاء الجاحظ على العموم مثقفون موسرون، اذكياء ألباء، لا تفوتهم الحجة ولا يغفلون عن سبل الاقناع، وترى بعضهم «متكلماً» والبعض الآخر فيلسوفاً، وهذا راوية مشهور، وذلك اديب كاتب او شاعر مفلق، او محدث بارع، لذلك لم يعن الجاحظ بالبخل لموضوع البخل، بل لما يدور حوله ويتعلق به من ملح وطرائف عقلية وادبية وهزلية.

ثم تراه يرسم لك بخلاء: حيلهم في جمع المال والحرص عليه، ودفع الطامعين فيه، حتى يضحكك آناً ويعجبك آناً، وقد تستخف او تستهجن او تشمئز، ولكن على سبيل يغريك بتتبع موضوعاته لترى صوره المتعددة التي الهتك عن نفسك او أغرقتك في الضحك حتى فحصت الارض برجليك ...

هاك مثلاً من ذلك: تجاهل حذيفة المروزي ضيفه العراقي بعد ان قضى المروزي أياماً في ضيافته ويتمنى على الله ان يوفقه لمكافأته اذا مر «بمرو»، وكيف اخذ العراقي يخلع ملابسه قطعة قطعة ليتبين المروزي ملامحه فيعرفه، ولكن ذلك ما كان يزيد المروزي الا تجاهلا، حتى صاح به: والله لو طلعت من اهابك لما عرفتك اغرب عني! ... الا ترى ان هذا المروزي ليس من عامة الناس، وان تعبيره: «لو طلعت من اهابك» يدلك على ادبه وظرفه؟ ... وانك لترى في مثل هذه الاقصوصات: كمعاذة العنبرية والشاة، ومريم الصناع، وصاحب النخالة ... لباقة وظرفاً، وفوق كل ذلك معرفة بطرق التوفير واضحة المعالم.

ورسالة سهل بن هرون الى عمه من آل راهيون يبرر فيها التهالك على المال دون العلم، وخصف النعل، وامره الغلام بزيادة المرق، ويبين ان النعل المخصوف يذهب الكبر ويريح الرجل، ويقرب من النساك الى كثير من هذه الاحتجاجات التي تريك صاحبنا مفكراً محتالاً في تفكيره لايراد الحجج. ان هذه الرسالة وامثالها تبرز لنا روح الجاحظ المرحة وقدرته على الايغال في اعماق النفس البشرية وتحليلها تحليلاً لا يشذ عن الواقع: عن الحياة نفسها.

ثم ان الجاحظ يعرض لخلال نفسية مرذولة، فيفضلها على ما عرف من الاخلاق التي يتحامدها الناس فيزعم ان للكذب منافع في موضعه لا يظفر بها الصدق، وان الصدق له مضار كالكذب، وان النسيان مفضل على الذكر، والغباء في الجملة خير من الفطنة في الجملة ... كل ذلك على لسان اشخاص ربما كان لمخيلته نصيب في وضعهم: كالجحجاه، وصحصح، ثم يقفز بك من صورة الى صورة، فهو الان يرسم لك كيف يفطن البخيل الى دقائق عيوب غيره ويتعامى عن عيبه، ليثب الى تعليل البكاء والضحك، وان الاول دليل الرقة والوجد او العبادة، وهو للاطفال يفتح الصوت ويقوي البصر، وربما اعمى وافسد الدماغ، وان الضحك ربما دل على الخفة، كما يدل على الصحة والجذل، وهو على كل حال اول خير يظهر من الصبي.

ويقول وقد بذ بذلك المعاصرين قطعاً: ان الروم من البخل امم الارض لانك لا تجد في لغتهم كلمات تدل على معنى الكرم، والفرس اغش الناس، لان لغتهم خالية من كلمات النصيحة ... الا يمكننا بهذا ان نعد الجاحظ فيلسوفاً من الطراز الاول؟ واليك الان قصة من اروع قصصه وهي قصة ابي جعفر الأموي الذي حك باطن شفته لئلا يذهب الطيب الذي في خارجها وقد طيبه بعض اصحابه: صورة بارزة لمغفل ذهل عن ان الهواء يزيل الغالية

بعد مضي سويعات وان حك الشفة لايضر بها . واما الصورة التامة التقاطيع فحديثه عن علي الاسواري وهو يأكل ، واصفاً اياه ليرينا خطاً من خطوط الصورة الاجتماعية الكبرى قال : « كان اذا اكل ذهب عقله وجحظت عينه ، وسكر ، وسدر ، وانبهر ، وتربد وجهه ، وغضب ولم يسمع ولم يبصر » أرايت كيف اعمل الجاحظ مخيلته في تنميق وجه الاسواري وهو يأكل وكانه يعطي نفسه كلها للطعام نظراً لشرهه ، وحرصه ، وطمعه ! . والجاحظ يعنى بتفحص طبيعة الاقليم ، والبلدة ، ليريك عـلى طريقته النفسانية بواطن الاشيـاء ويصور لك البواعث على العمل ، والعمل ونتائجه .

فهو يقول لك ان البخل طبيعة في اهل مرو ، حتى ان حيواناتهـا لا تقل بخلاً وطمعاً عن اناسيها : فديكة مرو تسلب الحب من مناقير الدجاج . وهم يسافرون في قوافل وعند الاكل يتفرقون ، ومن آرائهم الشائعة : ان الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء . وعبد الله الخزامي كاتب داود بن داود يقول : « قولهم بخيل تثبيت لاقامة المال في ملكه وفي قولهم سخي اخبـار عن خروج المال من ملكه ، واسم البخيل فيه حفظ واسم الكريم فيه تضييع . ومثل ذلك مـا قاله ابو نواس عن خراساني عالم يأكل وحده ، قـال الخراساني : « ليس عليَّ في اكلي وحدي مسألة انما المسألة في اكلي مع الجمـاعة ، ذلك هو التكلف ، واكلي وحدي هو الاصل ، والاكل مع الغير زيادة في الاصل واذا قال رجل لآخر : هـلم نأكل فعليه ان يدعوله لا ان يجيب دعوته . فيكون كلام بكلام فاما كلام بفعال وقول بأكل فليس هذا من الانصاف ! .

ويحكي عن احد بخلائه : ان جـاراً له جاءه بوعاء يطلب ماء بارداً فقال له : ارجع واملأه من مائي فاكون بذلك اكرم اهل الارض ، لانني اعطيك جوهراً بجوهر فماء بماء ، وازيد فاعطيك عرضا وهو البرودة ، وهذا لعمري اسراف تحملوننا عليه ايها الناس ، فكيف الخلاص من الناس ؟! . وسأل بعض الناس بخيلًا حاجة ، فقـال له : وانا لي اليك حاجة مثل حاجتك ، قال وما هي ؟ قال : حاجتي الا تسألني حاجة .

من هذا العرض لملامح البخلاء الذين صورهم الجـاحظ ترى انهم متفاوتون في البخل والثقافة ، والفطنة ، والظرف وان الجاحظ في كل ذلك لا يذكر بخلاء العامة من الفقراء لان ذلك من دواعي الحيـاة وليس عليهم عيب في ذلك ، انما هو يتندر على مثل ثمامة المعتزلي ، والاصمعي الاديب والخزامي الكاتب ، والخراسـانيين الموسرين ، والمسجديين ، لا ليعتب او يرشد ، او يهجو فيلوم المسجدي سبيل الكرم لان الدين يقول : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقـك ولا تبسطهـا كل البسط » لان العقل والمنطق يقضيان بكون الانسان اجتماعياً ، والاجتماع يدعو الى ترك البخل ، لا شيء من ذلك يدفع الجاحظ الى الكتابة ، بل الدافع المهم انه اديب موهوب يحس ، وانه مصور بارع تروقه الجوانب الطريفة في ملامح المجتمع وطبقاته المختلفة ، فيأخذ في تصويرها ويضفي عليها من روحه وظرفه فتبدو تحفة للفن يحوطها اطار الخلود ، وانا لا اعرف رجلا يحدثك عن العيوب ثم لا يجد الملل والاشمئزاز الى نفسك سبيلا كالجاحظ وهذه العيوب التي صورها لهـا وجهان . الاول في وضعه معيب والثاني في مظهره رائع خلاب لندرته وظرفه . فالكذب قبيح ولكن الكذب الذي يقصد فيه الى الظرف جميل لمـا فيه من الطرافة ، والغيبة ذميمة ، ولكنها في معرض الفكاهة والتندر الطف ما يقتني للقلوب . وعلى ذكر البخل نتساءل : لماذا لم يعن الجاحظ بالكرم والكرماء ، والصدق والصادقين ؟

الكرم والصدق فضيلتـان ليس في الحديث عنها جدة او طرافة ، والجاحظ مولع بالاختراع والموضوعات الغريبة وهو قبل ذلك ، لقلمه وحكمته ، ساخر من تقاليد الناس يصور لهم عيوبهم بألوان زاهية واضحة معزية ليقبلوا على تأملها ، وكأني به يهزأ من امعانهم في تقديس الاصطلاح العرفي على فضائل ما لها نصيب من الواقع الوطيد ، بل يريد ان يبين لهم ان الكرم والبخل ، والصدق والكذب اشياء نسبية : ليس الصدق خيراً كله ولا الكذب شراً كله . ثم هو لا يهمه جانب المجتمع ، او الاخلاق او الدين ، بل همه الصورة الفنية لموضوع طريف غريب .

امـا في هذا الاثر الفني : التربيع والتدوير ، فالجاحظ يعنى بشخصية تنتسب الى الكتابة والادب وهو بالحديث عنها يتخذها رمزاً لتناول من على شاكلتها من الكتاب وافراد الطبقـات الاجتماعية في عصره . فلما نفض يده من البخلاء وصورهم المختلفة بـين بخيل سخيف ، وشحيح ، واقتصادي ، وظريف . وبخيل متفلسف جدلي ، عرض الى نوع آخر اخصب في نواحيه واكثر تعددا . وهنا يتأكد لك انه لا يتناول اي موضوع من الموضوعات الفقيرة في ايحائها وانواعهـا ، بل غرضه الموضوعـات المتعددة النواحي ، المعقدة التركيب ، هذا كاتب ، وما كان ليسمو الى درجة الكتابة في عصر الجاحظ الا كل من تثقف ، ولكن الثقافة لا تمحو أثر ما

علق بشخصية المثقف من عوارض ووراثة، والجاحظ يروقه هذا الجانب الماجن، وعصر الجاحظ عصر مترف غني: غني بالفكر، والمال، والسيطرة، غني باحدى نتائج هذا الترف، ذلك ما ادعوه «بالدعابة» تلك الروح التي لا تشيع الا في الاوساط الثرية المثقفة، على أن هنالك جوانب خصبة في حياة الخلفاء والوزراء ليتندر عليهم الجاحظ، ولكنه لم يفعل اما للخوف او للاستفادة، او لانه لم يجد الحرية الكافية ليصرف قلمه في كل مضمار. والجاحظ في بخلائه يصور لمتوسطي الادباء، وجوها واخلاقاً وعواطف، واما هو في التربيع والتدوير فيكتب للفن القوي، للطبقة الخاصة، يمسح سطوره بدهان السخرية الدقيقة الخفية التي لا يفطن اليها الا الراسخون، ووجود اولئك الذين يصورهم من هذا النوع، لا يعرف حقيقتها كل فرد من افراد الطبقات الاجتماعية، فالبارعون في الثقافة وحدهم يدركون الجانب الذي يصالح موضعاً للتماجن والسخرية بينما المجموع يبجلهم وتخفى عليه بواطنهم، وانك لتتبين من اسم الكتاب براعة الجاحظ وحيلته الدقيقة في استخلاص العناوين، فهذان مظهران للشكل الهندسي يختلفان ويتشابهان لم يخرجا عن كونهما رمزين مؤلفين من خطوط مضلعة او مكورة. وكأني به يرسم بالتدوير بساطة الشخص الذي، يقصده، وبالتربيع دقته وتنوعه او انه يقصد بذلك التضاد. وهل يجتمع هذان في شكل واحد كأن تسمي الشيء مربعاً ومدوراً في الوقت نفسه؟ ذلك نوع من التندر الفلسفي العميق الذي لا يتسنى لغير الجاحظ، بل لا نعرفه لغيره من ادباء العالم في مثل تلك الدقة، وذلك التفوق. هذا احمد بن عبد الوهاب: شخصية لا نعرف من امرها شيئاً لولا حديث الجاحظ والظاهر انه صالح للتندر، فيه جوانب مغرية لريشة الرسام، وانه غير عادي، والجاحظ لا يهزأ من ملامحه وشكله فيصور بكلامه تلك الملامح وذلك الشكل قبل ان يرسم هواجسه وغروره، ودعواه، وغفلته، وثقل ظله، بدقة وامعان، وقد يميل الى التعقيد في ذلك حتى يخفي قصده على القارئ العابر، وما هذا الا اسلوكه طريقاً جديدة لم يسلكها في البخلاء، تقوم على التورية، والكناية، والتجوز. ترى ظاهر تعبيره مدحاً وهو ابلغ ما يعرض من الذم، او اعترافاً وتقديراً، وباطنه اسراف في النكران والتحقير، الى ما هنالك من الاساليب والطرق في التهكم والسخرية. من تلك الخطوط — بعد ان يدعو له الجاحظ على عادته في الكلام — يزعم انه اخطب من قس، وافصح من سحبان، وافرس من علي، وادق من النظام، واتقى من الحسن البصري، واعدل من عمر، وانه بعيد عن الغرور بعد المرء عن قلبه وسمعه وبصره، قريب من الرؤية قرب المتأمل من مأمله، والمشرق من مغربه، وان القدر اخطأ فيه موضعه، فكانه من العرش مكان الدر في الحصى، وانه لا تزن الجبال كعقله وان كان في الخفاء كالجوهر الفرد، ويده اثبت في المكارم من زوال العرض. الى ما هنالك من خبث في التورية، وحيلة في الكناية. ثم ينتقل الجاحظ الى تعداد ملامح جماله وسحره، وان ما من عذراء الا وتحلم بزيارة ذكراه، ولا غادة الا وهو من نفسها كالثرى من الثريا، ولا هيفاء الا وتتمنى ان يكون لها من قده المشوق المكور ما يستلب لبها نفوراً من مقابلة الى غيره، وامعاناً في التشكي من مثيله. من هنا تعلم ان الجاحظ مولع بالدعابة وانه مفكر ينفذ الى اعماق النفس الانسانية فيجلو غوامضها. هذه الخبرة بالنفس الانسانية تحمله في كثير من الاحيان على الضحك والفكاهة، لانه يبصر من سخفها، وغرورها ما لا يبصره الاكثرون، فيجمع مواهبه كلها بعد ان يستوعب ألوان المجتمع بطبقاته ومظاهره ليصور، ولكن صورة الجاحظ لا تأتي ممثلة لكل ناحية من نواحي المجتمع بل تمثل الجانب الغريب او النادر منها: الجانب المضحك فقط. فلو كان الجاحظ رساماً لكان الجاحظ مصوراً كاريكاتورياً من ابرع من عرفنا في العالم. ونحن هنا نسأل: ما السر في ان يميل الجاحظ الى هذا الفن دون غيره؟ ولماذا لم يعن عناية ابن المقفع بالجانب الجدي الرصين؟ على اننا نجد الجواب في يسر وسهولة وهو ان عصر ابن المقفع هو غير عصر الجاحظ وان تقاربا في الزمان. عصر قام فيه ابو مسلم فارتفعت دولة وحطت اخرى، عصر صبغ بالدم، وغبار الجيوش وقام فيه السفاح والمنصور، ثم قتل فيه ابو مسلم، ومثل ببقايا بني امية، ولم يرعوا في المارقين وابناء علي، والمتطلعين من الفرس «الا ولا ذمة.» فكيف يهزل ابن المقفع وهو ابن البيئة والعصر وهذا هو طابع العصر؟ . . .

أما عصر الجاحظ فعصر امتدت فيه السلطة الاسلامية الى اقصى المشرق، وتوطدت في المغرب وقال فيه الرشيد للغمامة: «امطري حيث شئت فان خراجك يأتيني». وجمع المأمون اشياء المجد الضخمة من شخصية، وحكم، وثقافة، وبذخ، ومن بعده الواثق كذلك، عصر كفاية

— البقية في الصفحة ٦٧ —

حدثيني

حدثيني في حديثك دنيا تنثر المغريات والفنّ نثرا

✡

أنتِ مثلُ الشُّعاعِ يتركُ في الكَونِ ضِياءً ، وفي النَّواظِرِ سِحْرا
رَاعَني منكِ عَبقَرِيٌّ جَمالٍ يَملأ الارضَ والسَّمواتِ شِعْرا
وَفَمٌ صِيغَ مِنْ عقيقٍ ودُرٍّ جلَّ مَنْ صَاغَهُ عقيقاً ودُرّا
حَذقَ السِّحْرَ في الاحاديثِ والضِّحْكِ وأصبى فَمَ المحبِّ وأغرى
وحديثٌ مثلُ الرَّبيعِ شَهِيٌّ يَغمُرُ النَّفسَ والجوانحَ عِطْرا
ساحرٌ مِن نَشائدِ الحُبِّ أحلى نَاغِمٌ مِنْ نَداوَةِ الفجرِ أطرى
هو زَادُ القلوبِ رَيحانةُ الفكرِ ودنيا تَموجُ خَمْراً وزَهْرا
نَضَّرَ العُمْرَ في خَيَالي فَوَدَّ القلبُ لو أنَّهُ يُحَدَّثُ دَهْرَا
أنتِ زَيَّنتِ لي الحياةَ ولولاكِ لكانَتْ خِلواً من الصَّفوِ قَفْرا
أيُّ سِحْرٍ هذا الذي فتَنَ الرُّوحَ فهذا الوجودُ يطفحُ بِشرا

***

حَدِّثِيني يَسْعَدْ بنجواكِ شِعْري وَيَزِدْ رِفعةً وَتِيهاً وقَدْرا
واغمُريني بِعَطفِكِ الحُلوِ تَهتزُّ لُحُوني وتَسْكبِ الشِّعْرَ خَمْرا

***

حَدِّثِيني ففي حديثِكِ دُنيا تَنثُرُ المُغرياتِ والفَنَّ نَثْرا
وَدَعِيني أذُقْ لَذاذَةَ حُلمٍ كُلُّ مَنْ ذَاقَهُ تَرَنَّحَ سُكْرا

***

حَدِّثِيني فأنتِ آهُ المُغنّي وَنشيدٌ يطوفُ ثَغراً فثَغْرا
وَأمَانِيُّ لا تَمَلُّ التَّمَنّي وَسَرابٌ يَلَذُّ كَرّاً وَفَرّا

دمشق

انور العطار

قصتي الغريبة

☆

يا لك من عجيب ايها الديك الاحمر . . .

تقول يا محسن . . . انك بعد ان قرأت مذكراتي عن تاريخ تلك الايام التي قضيتها بعيداً عنك في فرنسا . . . اعتقدت ان بين سطورها حلقة مفقودة . . لم يفت ذكاءك حب البحث عن معرفة اسرارها . . ؟

تقول ان هناك صفحات ما . . غير قليلة . . انتزعت من هذه اليوميات . . . او لم تدون فيها اصلاً . . وانني مهما حاولت ان أنكر . . فان شخصيات يومياتي . . ستقص عليك الحقيقة يوماً ما . . لو حدث المستحيل . . . ولم أفضح نفسي بنفسي . . ؟

حقا . . . انك لا زلت كما كنا نسميك في صباك . . ديكاً احمر لا تسلم منك بيضة الا بعلامة .

الواقع يا صديقي . . أنني لم اكن جباناً . . حينما كتمت هذا السر في قلبي طيلة هذه السنين . . لانه لم يكن ملكاً لي وحدي . . ولانني أحببت ان اكون انساناً بقلب كبير . . فدفعت الضريبة من دمي وحشاي . واستطعت مع كوني قصاصاً صناعته الكلام . . ان أكتم قصتي . . قصتي التي كنت على الاقل احق الناس بسردها . . حتى اروح عن نفسي ، وأنفس عن صدري . حرارة هذا السعير الذي كان يشوي ضلوعي ، ويقلبني على الجنبين كالسمكة في المقلاة . . .

إنني لم ارتكب هذه الخطيئة اول البشر . . فمنذ الابد . . والناس يعشقون . . . ولست اول شاب أحب فتاة اجنبية تختلف معه في الدين والسن . . ثم لا تتفق معه في التعليم او الطباع . . ولكن . . هكذا حدث . .

حدث أن كانت تجمعني – بالمدموازيل ريتا . . . مع زمالة العمل في الشركة . . صداقة بريئة لا تعدو حد الاعجاب بنوع من الجهاد أحبه واعجب به . . فقد كانت تجاهد الحياة مثلي . . وتشقى في سبيل اللقمة التي تسد بها أفواه اسرة كبيرة . . .

ولا ادري . . كيف وحد هذا السبب بيننا . . وجعل القدر يمد لنا حبل الود . . ليسقي لنا شجرة الحب بماء الحرمان . .

نعم . . وحد الجهاد بيننا في سبيل اللقمة . . وان كان واحد منا . . لم يشر للآخر بالحديث عنه ، او حتى حاول ان يتكلم في هذه الناحية . . . وازدادت الصلة بيننا فتعدت دائرة الصداقة الى جانب الحب ، الحب العاطفي المشبوب . . الذي لم يكن الا من جانبي فقط . . والذي غلفته بالصمت المطبق ، وتعهدته بالحسرة المكبوتة ، واللوعة الخرساء . . .

كنت أعرف ان بيننا موانع كثيرة . . . موانع على الاقل منها الدين والبيئة والتقاليد . . موانع كثيرة . . . بقدر ما كانت تؤلمني متاعبها . . . كانت هذه المتاعب تحببها اليّ . . وتزيدني شوقاً اليها . . .

وبهذا . . . نما هذا الحب الوليد الذي حاولت ان أخنقه في صغره ، فازدادت حرارته في ظل الكتمان الذي طويت عليه ضلوعي الهشة الضعيفة . . . نما هذا الحب ، بعد عام من الالم . . ذقت خلاله الامرين من الشوق والحرمان . . واغتسلت فيه افكاري بدموعي . . دموعي التي لم اجد اهلاً لها سوى هذه الفتاة . . .

نما هذا الحب . . حتى لقد دفعني لان أنظم اموري على نحو جديد . .

قصة

بقلم محمد صدقي كبه

واتعلم اللغة الفرنسية التي كانت تُجيدهـا ريتـا .. حتى اقرب الاوضاع بيننا بعض الشيء.. وحتى اكيف دنياي بدنياها التي كنت لا اعرف من حقيقتها غير القشور .. والقشور التي لا تفيد...

وفي ذات يوم.. بعد ان عدت من عند صديق لي.. يشاركني في المذاكرة، تناولت ريتا كتبي ومعها كراسة صغيرة.. كنت قد استعرتها من هذا الصديق.. وشرعت تقلب صفحاتها.. ثم سألتني عن هذا الصديق، وبدافع لا شعوري.. وكعادتي دائماً. وجدت نفسي اطري لها صفات هذا الصديق، وأعدد مناقبه الحميدة، بل واضعه في مصاف ملائكة الارض...

كانت هذه هي ساعة الشقاء الاولى في عمري.. فقد ازدادت اسئلة ريتا عن صديقي انطوان.. ثم بعد ان قابلته عدة مرات.. لم تجد مانعاً من ان تصور لي اعجابها به.. وتذكر امامي انها.. انها تحبه... ولم احتمل يا محسن هذه الصدمة — لانها كانت اقوى من كياني، فذكرت لها صراحة انني مسكين... وحين سألتني لماذا..؟ قلت لها.. لانني احبك اكثر من حبي نفسي..

لقد تعجبت ريتـا.. وحاولت ان تستنكر هذا الامر في خيالها.. ولكن الحب كانت تنطق به عيوني، وكانت له شواهد في معاملتي لها طوال العام الذي مضى على تعارفنا.. العام الذي كانت تحس فيه على طول ايامه سراً دفيناً بين ضلوعي، وامراً احاول كتمانه فتفضحني ملامح وجهي، الامر الذي كان كالكحة لا يمكن اخفاؤه، والذي قلت لهـا عنه بعد ذلك.. انه.. انه هو الحب...

لقد راحت احاديث ريتا تتطور معي شيئاً فشيئاً.. وبدأنا نشرب من كأس واحدة.. حتى لقد اخذت احاديثنا تتلون بلون جديد.. وتدخل في نقد نظام الاسرة... ثم بدأنا ننشر ملابسنا القذرة على السطح في وضح النهار...

كانت تعيب علي فقري.. وقصر قامتي.. وصغر سني.. وسوء مسكني. ثم واخيراً ان اسمي.. سالم.. سالم فقط..

اما أنا فقد كنت اعيب عليها سواد شعرها.. وكبر سنها.. ثم اظلمها على قدر ما استطيـع من الظلم الذي تنكره نفسي، وتنطق به الفاظ الحديث فقط... ولكننا كنا دائماً بعد كل مناقشة.. نكتفي بنظرة واحدة.. من عيوننا معاً.. لنغسل ادران ما تكلمنا به من الفاظ مغضبة... نظرة واحدة... تصور ما أعجز عن وصفه.. لان الكـاتب مهما برع.. فلن يستطيع ان يصور عواصف الشوق ولهيب الغرام في كلمات كتبت بالمداد...

***

كانت هذه هي الجنة ايها الديك الاحمر.. ولكنني لم اعرفها.. الا بعد ان طردت منها، وجعلت ادق بيدي على بابهـا في رجاء حزين...

فقد مضت شهور.. ولا ادري كيف حدث هذا الذي حدث.. الا انني علمت ان صلة ما بين ريتا وصديقي انطوان.. صلة احاديث ورسائـل وحفلات.. فانكرت اولا مـا سمعت ثم تعجبت كيف حدث هذا.؟ انطوان... انطوان احب صديق لي.. يفعل هذا؟.. واخذ الغضب يغلي في دمي، وبدأت الغيرة تنهش ضلوعي وتحرق اعصابي وتزيدني كرهاً في الوجود.. حتى لقد رحت اتساءل وانا في سورة الغضب... لماذا تمنحنا السماء نعمة العواطف والاحاسيس.. وتسلبنا في الوقت نفسه متعة النجاح في حل مشكلات قلوبنا...؟ حقاً.. لماذا جئنا الى الوجود.. دون ان يؤخذ رأينا في المجيء.. لعلنا كنا نمتنع.. ولعل بعضنا كان يفضل المجيء الى هذه الحياة ولكن بشروط..

كانت نفسي تهدأ احياناً بعض الشيء.. فاحاول ان أسلو غرامي. واحتفظ بصديقي. واحتكم الى عقلي والى الفوارق الاجتماعية التي بيني وبين ريتا.. ولكن كائناً ما.. كان يصرخ في اعطافي، يذكرني انه لا مستحيل امام نداء القلب، وان هذا الحب الجارف الذي سكن احشائي.. لا تستطيع زعازع النسيان ان تقتلع جذوره من قلبي... فلا املك بعد ذلك من نفسي.. الا أن اغرق في احزاني وهمومي.. اصارعها فتصرعني، ثم اعود احاربها بالصبر وانتظر معها ما يستجد..

وكم خطر ببالي يا محسن.. ان اكشف لريتـا عن شخصية صديقها انطوان.. التي طهرتها بطباعي كعادتي دائماً عندما اجد نفسي اذكر احداً فلا املك الا مدحه.. كم حاولت ان اقول لها.. ان انطوان هذا الذي بدأت تفضله علي.. ليس الا اباحياً ماجناً.. وانه لا كرامة له ولا اخلاق عنده.. وانه لا يزن شرف اطهر فتاة.. بأكثر من آهة او دمعة يضحك بها عليها.. ايسرق منها اغلى ما تملك.. ثم يخنق ضميره في ساعة نشوة بين ذراعيها.. ثم ينسى هذا الضمير بعد ذلك طول الابد..

كم حاولت هذا.. ولكنني كنت جباناً بالنسبة لنفسي.. وانساناً بالنسبة لصديقي.. وملاكاً بالنسبة لمن أحب... كنت

لا أود ان اصدمها في غرامها الذي كانت تشرب كاسات هناءته وسعادته مهما كان في الحثالة من علقم ..

كم حاولت هذا .. وامتنعت ... حتى آخر مرة .. تشجعت وقلت لها .. ان التي يعجبها منظر النيران لا بد ان تضع يدهـا فيها .. ولا بد ان تحترق .. وان التي تنظر في اعجاب الى كأس السم لا بد ان تحاول الشرب منه .. ولا بد ايضاً من ان تموت متسممة ...

***

وذات ليلة .. بينما كنت اتلهى من منظر الطبيعة الساحر .. أتناسى متاعب الحرمان وأتمتع برؤية ظل الصفصافة الراقص .. وقد أخذت تعبث به الريح الباردة امام شرفة المنزل .. اقبلت ريتا على غير موعد .. وفي عيونها دمعة عرفت انها كانت محبوسة مع الغيظ المحرق وفرت أمامي على جفنها الساهم تسقيه بالأسى المحزون ..

وقفز قلبي بين ضلوعي .. واحسست حرارة ناعمة في رأسي .. فقمت اليها اتناولها بين ذراعيَّ مسلماً .. أسألها ماذا .. ؟ واتعجب من انها تذكرتني بعد هذه الغيبة الطويلة .. واختارت هذه الليلة الباردة لهذه الزيارة ...

ودفنت ريتا رأسها بين رأسي وكتفي .. وراحت تنتحب .. فأفقت لنفسي وأنا أبكي معهـا ... أفقت على شذى عطر « الريف دور » الذي كان يفوح من شعرها الناعم ، وهو يداعب وجهي الدافئ الذي غرق في شعرها المشوش من رياح هـذه الليلة العاصفة ...

جلسنا معاً على كرسي الصالة الكبير .. اسألهـا ماذا .. فتبكي وهي تقول .. انطوان ... انطوان ... رأيته الآن في السينما يقبل مرجريت ... هذه الخاطئة .. بائعة الآثام والعواطف .. ألا تعرفها .. ؟ .. انها .. انها ...

ولكنني لم ادعها تنفث غيظها من انطوان في شرف فتـاة اخرى .. وقلت لها .. لقد اقتربت من ثمالة الكأس .. فاشربي يا حبيبتي في شجاعة .. ولا تندمي على أنه خنق يوماً ما ضميره بين ذراعيك .. وخنقت انت الاخرى عاطفتي في مهد مولدها الحزين ..

ولكنها لم تدعني أتم حديثي المتألم الساحر .. لانها انزوت في ركن الشرفة تبكي ما شاء لها قلبها البكاء .. وبكت .. وبكت ... بينما كانت دموعي المتألمة الساحرة التي أروت قليلا صحراء قلبي قد جفت وغدوت رجلا .. رجلا له ما يؤلمه ويعذبه مر العذاب بسبب حبها ...

سمعتها وانا شارد في خيالات الماضي وصوره تلمس كتفي باصابع مرتعشة وهي تقول : سالم .. سامحني يا سالم .. لقد كفرت عن الآلام التي سببتها لك .. وسأكون لك على الدوام .. إنس ما حدث .. انس ولنعد من جديد نروي شجرة حبنا القديمة التي جفت أغصانها ...

ولست أدري كيف قمت من جوارها .. وانا أضحك هذه الضحكة الصفراء الباهتة واردد في صوت ضعيف كأنه يصدر من خلف اذني ..

— لا لا يا ريتا ... انك عرفته قذراً بلا اخلاق .. ومع ذلك فضلته عليَّ .. انه لو لم يجفك ويحتقرك .. لما عرفت الطريق لمنزلي في هذه الليلة العاصفـة .. انني بدأت اسلو غرامي ... وحرام ان اعذب نفسي من جديد .. لن اكون لك غير اخ شقيق فقط ...

اما الماضي .. الماضي بآماله وآلامه .. فدعيه يتوسد قبره الذي بللته دموعي .. ودعينا ندوسه باقدامنا .. نهيل عليه التراب ثم نلقي عليه ستاراً من النسيان .

***

لم أكن جباناً يا محسن حينما صددتها بهذا الشكل .. ولكني أحببت ان احتفظ امامها برجولتي .. بعـد ان تمرغت تحت اقدام كبريائها .. أردت ان أحس مرة واحدة بكياني الضعيف وهو يقوى امام سطوة عيونها .. حتى ولو كانت هذه العيون تبكي ..

واعذرني في ذلك يا محسن — اعذرني .. فقد كنت اخاف على نفسي من حبها ... كنت أخشى على نفسي من الجنون .. كنت محموماً في افكاري .. مضطرباً في حواسي .. لان حبها الذي تملكني كان يصورها لي في كل ما أراه ... فوجهها كان ينظر لي في المرآة وانا أمشط شعري .. وعيناها كانت تخايلني في صفحة الكتاب وانا استذكر دروسي .. والناس .. الناس كانت تلتبس صورهم امام نظري .. فلا أرى الا صورتها في وجوههم .. بل ان أبي وامي اقرب الناس الي .. كنت اخلط في ندائي لهما .. فأسهو عن نفسي .. وأنادي أبي .. — ريتا .. ويبحث ابي يرحمه الله عن ريتا هذا في جنبات الحجرة فلا يجده ... ثم يسألني من هو ريتا هذا الذي أناديه ؟ .. فيحمر وجهي .. واقول له : انني لا أنادي احداً .. انما هذه تعويذة قديمة علمنيها صديق لعلاج النسيان .. كانت اعصابي تتحطم .. وقواي تذوب .. وبدأت نفسي تتلاشى شيئاً فشيئاً .. حتى كانت ليلة سامرني فيها اخوها .

جبران . واخذنا كعادتنا نبسط قضايا نفوسنا لبعض .. ثم نعلق عليها ببعض الحوادث التي انعكست على مرآة شبابنا .. وامتد بنا حبل الحديث عن النساء .. فارتعشت اوتار قلبي .. ودمعت عيوني . ووجدت نفسي أجلس له جلسة المذنب من كرسي الاعتراف .

صارحته في شجاعة بما بيني وبين ريتا .. وبسطت له القصة بحذافيرها .. فلم انس شيئاً منها .. حتى التوافه حدثته عنها .. بل لقد ذكرت له كل افكاري في حقيقة سافرة عارية . اعلنتها حرارة شوقي الملتهبة ، واباحتها شدة اخلاصي لهذا الصديق ..

ولما انتهيت من سرد قصتي بعد ساعة ونصف ، كان يطوقني بذراعيه ، وفي عيونه دموع ساخنة تعترف هي الاخرى .. لقد كان ايضاً محباً يفهم ان الوجود يقسو على اصحاب القلوب الكبيرة الذين لا يملكون على افئدتهم سلطاناً .. لقد كان ايضاً شقياً مثلي .. وكان يتجرع الحرمان ويستاف الجوع ... ولذا فما كان أسعده وهو يعدني بان يصلح ما بيني وبين ريتا في اقرب فرصة .. وان يشرح لها الآلام التي هزت كياني في سبيل صداقتها . والتي كتمتها في حنايا صدري هذا الامد الطويل ... غير انني حتمت عليه ان لا يفعل هذا .. ورجوت منه فقط ، ان يروي ظمأي العاطش الى اخبارها كلما سنحت له الفرصة ..

***

كم كنت مسكيناً يا صديقي ... لقد عشت في جحيم عواطفي بعد انتقالها فجأة لفرع الشركة بالاسكندرية ، اياماً حمراء مشتعلة وسوداء قاتمة .. كان لا يخفف حدة المها على نفسي التي تعصف بها ثورة الشباب .. الا بضع رسائل كانت تأتيني من جبران .. يحدثني فيها عن نفسه ، ثم يرد على اسئلتي عن ريتا وعن احوالها . فيصف لي الحفلة التي رقصت فيها منذ اسبوع . ويستطرد فيصف لي لون ثوبها .. وحذائها ثم لا ينسى ان يذكر لي اسم الرقصة ، ومع من كانت ، بل وكم حدثني عن اصدقائها وصديقاتها ، والافلام التي شاهدتها والكتب التي قرأتها .. بل وكم ذهبت (لصدناوي وأروز – دي باك) .

كان يحاول ان يسليني بهذه الاخبار كما رجوته .. ولكنني كنت أذوب من الاسى .. كنت اغار عليها من سواي .. لا بل لقد كنت اغار عليها من افكاري ايضاً ..

كانت هذه الايام القاسية يا محسن .. تمر على قلبي ببطء اليم ، كما تنقضي الايام الباقية من عمر يائس محكوم عليه بالاعدام .. او كما تمر السكين الباردة على عنق الطائر الجريح .. لا هي تذبحه مرة واحدة .. ولا هي تتركه للحياة ..

حتى اذا كانت ليلة ممطرة عاصفة . أفقت في ثلثها الاخير من نومي المتقطع ، وقبعت في فراشي الدافيء . من افكاري المحمومة ، واخذت اكتب في قصة حرمان ، اسكب في سطورها من معين نفسي ، اصور فيها حرماني وأقر واعترف ، ثم اراوغ القاريء . فأغير الاسماء والازمان والامكنة حتى لا افضح نفسي .. بينما انا على هذه الحال ، وقد انصرفت فلول جيش الليل المنهزم تحمل معها آهاتي وتنهداتي وراحت شمس يوم جديد تدخل النافذة مع صوت اقدام السابلة . بينما انا على هذه الحال .. واذا بجرس الباب يدق وساعي البريد يناولني رسالة من جبران يسألني فيها عن اخباري ويذكر لي في نهايتها : انه يجمل بنا ان ننقطع عن ذكر ريتا في رسائلنا . وعن الاهتمام باخبارها . لان حياتها قد امست الآن غير ملك لنا .. حيث انها قد تزوجت الزواج الذي يجب ان يريحها ويريح الناس ..

لقد ذهلت ساعتها يا محسن .. ذهلت ودمعت عيني .. وحين تنبهت ايدي التي ترتعش بالرسالة عرفت انني قضيت اكثر من نصف ساعة ساهماً بجوار الباب، ثم افقت لنفسي وارتديت ملابسي، واخذت اسير حيث لا ادري اين سرت ولا كم من الوقت قطعت . حتى وجدت نفسي أساق الى محلات هانو فاشتري لها هدية الزواج . الزواج الذي لا ادري كيف تم ولا منذ متى كان .. وتماماً كما يحزم المتشرد المنفي من وطنه ، جلست اغلف لها الهدية في صمت حزين ، وبكاء متقطع، ثم وضعت معها رسالة تهنئة للاسرة مصحوبة باطيب الاماني التي اعد في نهايتها بزيارة شخصية للاسرة بعد عشرة ايام ..

وكم كان عجيباً ، ومؤثراً على نفسي التي حطمتها الايام، والقت عليها رداء من الهوى المشبوب الذي تسربت في متاعب اوهامه .. كم كان مؤلما لنفسي ان تصلني رسالة مقتضبة من جبران .. يذكر لي فيها – ان مهزلة الحياة في قصة غرامي لاخته قد تطورت الى وضع ساخر مؤلم ، وانه قد تحاشى اثرها على نفسي المحطمة وشعوري المجروح الذي يئن هوى وصبابة .. تحاشى ذلك حتى آخر ما يستطيع ان يفعله اي صديق مخلص . ذاق مرارة الهوى ، وعرف حرقة الحرمان . وانه بعد ذلك يأسف اذا اضطر للقسوة علي وتحطيم الباقي من الآمال والاحلام التي عليها بذكر الحقيقة المرة . يأسف ان يقول لها .. انها تزوجت الزواج الابدي الذي سترتاح معه من متاعب الحياة . وبمعنى اوضح كان يلزم ان اقتنع بالرسالة

الاولى . وانسى الماضي .. يأسف اذ يقول لي ان ريتا قد ماتت منذ اسبوعين، وانه لا داعي بعدذلك لان اكاتبه في هذا الموضوع حتى لا أثير في قلبه الاحزان ..

***

لقد تسللت ايها الديك الاحمر بعدهـا ايام عمري في بطء ممل مميت .. تسللت تنجاب عن فواجع قاسية لا تتكلم، واعاصير هوجاء لا تهجع، مرت على عمري من صور ايام قاتمة اللون، كليلة المنى باهتة الظل، كنت لا احس وجودها الا بهمس الصمت ونحيب السكون ..

لقد عرفتها ايام يفاعتي .. ايام ازدهار الشباب في عمري .. عرفتها وانا في سن التاسعة عشرة . فلقيت من حبها ما لقيت، وانا من حبها على محنة التفكير المحرق، والحرمان الظامىء . ترجني الايام بذكرياتها، وتلطمني بأكف فاسقتها الرعناء ..

تسعة اعوام يا محسن مضت بعد اول لقاء لهذا الغرام . خلقت اياما من فتى الامس البعيد الذي كنت تعرفه شابـاً آخر .. ثم رجلاً غير هذا وذاك ..

***

ولست ادري لماذا لم تقف عجلة الايام في عمري عند هذا الحد حتى كنت استريح .. لست ادري لماذا .. الا لاستوفي نصيبي من عمر ايام هذه القصة .. فقد ابصرت ذات يوم .. في الصيف الماضي على الشاطىء في مصيف جميل .. بظل لفتاة لم تغب صورتها عن عيني طيلة هذه السنين .. أبصرتهـا تنظر الي نظرة ساهمة مخنوقة العبرات .. تلوح في اطيافها ذكريات تاف ريتا في حاضرها ثم تنشرها مرة ثانية . فتاة في سن التاسعة عشرة كما كنت اعرفها في شبابي .. وتفرست فيها بعين الشك والارتياب .. فابصرت في عيونها الذكريات تطفح باحلام الصبا وصور الماضي . ابصرتها تدمدم بكلمات لم اسمعها .. ثم اقبلت علي تقول :

— سالم .. سالم ..!!

وانجابت عن عيني غشاوة الشك .. وادركت حقيقة أنها هي .. وصحت والعجب يراوغني بالحيرة ...

— ريتا .. ألم تموتي .. ؟

— لا .. لقد خطر لاخي مـا خطر له .. فتصرف على هذا النحو، بعد ان صنع ما صنع .. وبعد ان ارغمني على قبول هذا الوضع ..

لقد كان لاخي جبران قلب .. وكان يعطف على حبك .. ولكنه كان قبل ذلك رجلاً يؤلمه ان تمسي قصة حياة اخته لحناً على فم أديب .. او تقديساً في قلم فنان .. وحين قرأ كتابك الاخير .. (عطور واحلام) وقرأ القصة التي تلخص فيهـا حياتي وغرامك بي .. ثارت في نفسه نوازع بكى لصداقتك من اجلها اسبوعاً كاملاً في فراش المرض .. ثم كتب لك الرسالة الاولى والثانية، والباقي لا اعرفه ..

ثم القت براحة يدها على ساقي، ومدت الي بصرهـا الذي ذكرني بصباهـا، وتهت في حيرة ناعمة، مرت مع صور العمر الماضيه امام عيني، وافقت فاذا انا غارق في زرقة عيونها ادافع ذكريات الماضي البعيد .

افقت من ذهولي على صوت شقيقتي وهي تنساب من بين امواج الشاطىء، صائحة في جلبة عابثة، وهي تدق بقدميهـا الصغيرتين على الرمل .. أفقت لنفسي، ورفعت يدهـا من على ساقي وضممتها بين راحتي يدي . ثم انحنيت وقبلتها مسرعاً . قبلة اودعت فيها كل ما املك في قلبي . وقمت واقفاً اترنح من هول ما اعتمل في صدري ..

قمت واقفاً وانا اسر في أذنها .. هامساً .

— ريتا .. غداً اراك في كازينو الشاطىء .. الساعة الخامسة . بجوار السلم ..

***

لقد طالت الرسالة ايها الديك الاحمر .. ولكن ها هي القصة قد انتهت هي الاخرى .. فلقد ذهبت في نفس الموعد وقابلتها امام كازينو الشاطيء كما اتفقنا ..

ولكنها كانت قد جاءت . محمولة على نعشها تتهـادى في هدوء حزين .. كما كانت تخطر على الارض في الحياة ...

كان اخوها جبران يمشي خلف العربة التي تحملهـا .. والتي سبقها بساط الرحمة الذي يمسك باطرافه الفتيان الاربعة . وقد امسك عواطفه في رجولة كاملة .. ولكنه ما ان ابصرني . ازاحم بين الصفوف لأسير بجواره .. حتى انحدرت دمعة ساخنة على جفنه، وشد على يدي بحرارة محرقة وهو يقول ..

— سامحني ...

وسارت الجنازة .. ودفن حبي في التراب .. فلم يبق لي منه بعد .. الا الماضي البعيد ...؟

دمنهور — محمد صدقي كبه

متمردة

بقلم الآنسة سمية حموي

☆

اعصار كانت صحراء نفسي له مطافاً ، يختفق على زوايا الارض متمسكاً بجدران السماء كأنه جحمة من جحمات الله في بركة غضبه .

اعصار يميد على شطآن النفس كأنه زمجرة الشتاء في وادي الجماجم في الطريق الى جبال صنين الابيض .

لم يترك في الواحة شجرة الا واقتلعها اقتلاعا عنيفا .

لم يترك ينبوعاً الا وغوّره في الصخور ، كأنه هو نفسه قلقلة الارض في الزلزلة ، أو حمم البراكين في التفجر .

اعصار ، أسمع هديره ، أحس ألسنته ، أتمسك بأذياله .

باطراف أذياله ،

واشوقاه ...

أنى لي ان أتمسك بأذياله فينثرني على الجبال العالية كما ينثر الغبار والضباب ...

أيها الاعصار الجامح ،

سمعت امي تتحدث عن زمجرتك في مناغاة الليل العاصف ،

وسمعت جدتي تروي عنك كيف بسطت اجنحتك على الارض فأغرقتها ، وكيف بسطتها على العباب فمددته ضفة وموجاً وسكوناً .

آمنت بك ، احسك في نفسي ، في مسالك أضلعي ، في مسارب آذاني ، في اطراف أهدابي ، هنا ، حوالي ، في غرفتي هذه ،

هذه المخابئ الضيقة .

***

لم تصدق امي انني لم أرَ بعيني على كثبان الرمال ومخارم الصحاري اعصاراً ...

هي تحسب الارض وحدها كهوف الرياح .

هي تحسب السماوات وحدها مغاور العواصف .

***

خذ اجنحتي ، خذ يدي ،

اين انت ؟؟ ...

احملني في البعيد البعيد ،

ان في نفسي شراعاً ما عرف الرسوّ مذ تحركت مواكب الجاذيف ،

واستيقظت من حلمي ، وفي صدري شبه شلال ،

وفي جفني آثار لرفرفة طيف هارب .

***

في هذه الغرفة ، هنا على متناول يدي اعصار كأنه هيكل انسان ،

او انسان كأنه هيكل اعصار .

بقلم ج. و. ويلباموسن

العلم والصناعة الحديثة

ترجمة الدكتور محمد يحيى الهاشمي

يتشعب البحث العلمي الى فرعين هامين: البحث العلمي المحض، والبحث العلمي التطبيقي الصناعي. وان الفرق بينهما هو من وجهة الوضع والثمرة المرجوة لا من وجهة المنهاج. العالم الصرف يهتم في توسيع نطاق العلم، ولا يفكر في الفائدة الناجمة من جراء ذلك او عدمها. اما في البحث التطبيقي او الصناعي فان هناك توجيهاً في الاكتشاف نحو المصلحة، نحو الطريقة العلمية التجريبية التي تطبق المعارف لغرض الصناعة: كتحسين المنتوجات والعمليات، وتخفيض التكاليف وايجاد استعمالات جديدة للمنتوجات الصناعية.

يجب ان لا يغرب عن بالنا ايضاً ان كثيراً من الابحاث العلمية تنتهي ان قريباً او بعيداً بالاستعمال الصناعي، فالنبع العلمي الصرف يغذي بالتمادي نهر البحث التطبيقي الذي يسقي حقل الصناعة. في البدء كان العلم يسهم بقسط وافر في رقي البحث الصناعي، لأن اقدم المعارف الكيمائية والفيزيائية والميكانيكية كانت تستعمل لايجاد مواد جديدة ولتحسين المواد المعروفة، ولتقسيم او تحسين طرق العمل الصناعية.

ان المرحلة الجديرة بالملاحظة كانت في استعمال طريقة العلم فوق المستوى المادي لمشاكل التدبير بصورة عامة، ولتدبير المعامل بصورة خاصة. وهذا ما يدعى بعلم التدبير، الذي نشأ في اميركا واصبح عنصراً هاماً في تطور الصناعة.

ان اهتمام العلماء بالعامل الانساني في الصناعة ازداد توسعاً يوماً بعد يوم الى ان احدث علماً جديداً في علم النفس غايته دراسة المشاكل النفسية المتعلقة بهذا الفرع المسمى بالعلم النفسي الصناعي. ان هذا الفرع الأخير يحتاج الى نظرة تركيبية واسعة عرفت في الزمن الحديث باسم البحث التدبيري، وهي بحوث علمية لمشاكل التدبير وتطبيقاتها من اجل ذلك تقسم مباحث الصناعة الحديثة الى اربعة اقسام: البحث الصناعي المحض، التدبير العلمي، علم النفس الصناعي، البحث التدبيري. وسنقتصر بالحديث على القسم الاول.

ان اشكال البحث التطبيقي هي في تحسين المنتجات الصناعية وطرق عملها وتخفيف التكاليف وايجاد بضاعات صالحة للاسواق التجارية فمخابر البحث تهتم بالطرقات المختلفة العملية، وهي عبارة عن مخابر جامعية، وحكومية، ومؤسسات خيرية، ومخابر لشركات صناعية محدودة وعامة وخاصة واخرى فردية.

ان المخبر الفيزيائي الوطني في انكلترة ومؤسسة الرايخ في المانيا، والمخبر المركزي للكهرباء في فرانسة، والمكتب النموذجي للولايات المتحدة في واشنطون هي امثلة للمخابر الحكومية التي لم تخدم غرض اعطاء النماذج فحسب، بل ادت لفروع عديدة من فروع البحث العلمي التأسيسي خدمات جلى للصناعة. واذا اردنا ان نضرب مثالاً على ذلك فلننظر الى مخبر الفيزياء الوطني الذي بتجارب المجاته حول نماذج سفن «وليم فرودتانك» و «ياروتانك» كان له تأثير عظيم في تصميم بناء السفن، وكذلك فالتجارب الهوائية الديناميكية، وايجاد نفق للريح اعطت استعلامات اساسية لاقصى تقدير لمشاكل الطيران والمحركات وصناعات السكة الحديدية في هذه المقاطعة.

تقسم مخابر البحث الصناعية الى فرعين اساسيين: الاول عائد للمعامل الفردية والثاني للشركات العامة وقد عبر عن الحاجة لهذه المخابر الدكتور كنيث ميس بقوله: «ان تطبيق العلوم على الصناعة هو عامل جوهري من عوامل التنظيم الصناعي، ولا يمكنه ان يكون بشكل آخر اعني بمقتضى التدريس او بابداع العلم الاصلي».

في بريطانيا منظمات لصناعات واسعة كالصناعات الكيمائية الامبراطورية، وشركة الكهرباء العامة، وشركة النور والغاز والفحم، وشركة الزيوت الانكليزية الايرانية، وهذه الشركات لها اتساع خاص وحاوية على مخابر للبحث مجهزة بباحثين من الاخصائيين ولها مخصصات للقيام بهذا الغرض. هذا عدا عن المؤسسات الصغيرة والمتعددة في هذه المقاطعة التي تحوي صناعة خاصة لها فروع للبحث.

هناك ايضاً مخابر واسعة مجهزة بادوات البحث الصناعي والاساس للتجهيز والتدرج والتثبت. اما المبالغ الضخمة فهي من مخصصات الشركات الكبيرة فقط. وتستفيد الشركات الصغرى من الكبرى لهذا الغرض. وان المثل الجدير بالملاحظة بخصوص التحريات الكبرى ما قامت به الحكومة البريطانية عام ١٩١٥، اذ اسست ونظمت البحث العلمي بصورة مباشرة.

حسب اوامر المجلس المنعقد في ٢٨ تموز ١٩١٥ كانت اللجان الخاصة العلمية والمباحث الصناعية مجهزة بصورة مباشرة في شروطها وماليتها، وتتلقى أنظمتها من وقت الى آخر، وتأخذ معونتها المادية من فرع التنظيمات لمجلس النواب ومن لجنة ترقي العلم والبحث الصناعي. وقد تأسس في كانون الاول لسنة ١٩١٦ من لجنة المجلس العلمي مع المجلس الاستشاري تحت رعاية مصلحة التربية فرع خاص في الحكومة عرف باسم الدائرة العلمية والبحث الصناعي D. S. I. R، لها وزير يمثلها مسؤول امام البرلمان.

خصص البرلمان ايضاً مبلغاً قدره مليون جنيه استرليني لهذه الدائرة، ولجنة المجلس العائدة لها خصصت صرفه على معاهد البحث للشركات. فتعطى هذه المبالغ لتجهيز مخابر البحث في الشركات من دون اي ربح. وقد بلغ عدد معاهد البحث في الشركات في الوقت الحاضر في انكلترة ثلاثين. وهذه تغطي مختلف الشركات في المعامل البريطانية.

ان المؤسسات التابعة للشركات لم تكتف بغرض البحث العلمي وقد وجهت اليها انتقادات في عام ١٩١٥، وأكد الناقدون انه لكي تكون الفائدة تامة من البحث العلمي يجب ان يخصص لهذا الغرض مبلغ لمخبر الفيزياء الوطني والجامعات والكليات الصناعية بصورة متناوبة، واقترح ايضاً تأسيس وتجهيز معهد خاص للبحث على نمط معهد « ملون » في اميركا عرف بمعهد البحث الصناعي للولايات المتحدة.

اعدت مخصصات المليون جنيه المار الذكر للجمعيات العلمية وبعض اصوات البرلمان كانت تريد تخصيصها للدائرة العلمية والبحث الصناعي. بيد ان الفائدة لم تكن اكاديمية محضة. نعم كانت تتضمن جميع مفاهيم التشكيلات العائدة لجميات المباحث العلمية، ولكن جوهر القضية كان يتضمن المباحث الطبيعية ونتائج المباحث كانت تؤثر طبعاً بصورة مباشرة او غير مباشرة. كماً او كيفاً على المباحث الصناعية. وانه اشطر هام ان لم يكن القسم الاخير من المشكل هو استقرار العلوم في الصناعات نفسها، كي لا تكون العلوم نظرية فقط، بل عملية ايضاً لها فائدة في الصناعة، حتى تتعدى ذلك الى المراسلة تشجيعاً للصناعة نفسها، لتكون المعارف مرتبطة بدرجة قليلة او كثيرة بالصناعات الحديثة، لتعمل ولا تغفل عن حقل البحث العلمي.

ان الفرق بين العلم الصرف والعلم التطبيقي هو في التفسير العلمي للثاني الذي يسمح ان يكون العلم تطبيقاً. وفي هذا الصدد فقد قال اللورد ستامب: « نحن نتجنب تحديد فكرة البحث في العلوم الفيزيائية، ولكن لا يتم ذلك بالواقع ان يصح تعميم المعارف بمبادئه التطبيقية من جميع النقاط علماً ايضاً.

تتبنى الصناعة العالم، اذ يصبح تابعاً لأسرتها وعضواً عاملاً في تدبير منزلها، يشترك مع بقية الاعضاء كرجل الاشغال والمالي والاداري في تشييد اركانها.

ان ميزة الكشف والاختراع الجديدين أن تؤثر البحوث الجديدة بصورة مدهشة ورائعة في دوائر الحكومة وفي مجالس الصناعة الداخلية وفي الجامعات ومعاهد التربية والجمعيات الاجتماعية والسياسية، حتى في افكار الجمهور. اما السؤال الهام الذي يجب طرحه هو كيف يلزم ان يقودنا العلم؟ وما هي الحدود في ذلك؟ والى اي درجة يجب ان نسمح له في قيادتنا؟.

في شهر كانون الثاني الماضي عقد فرع الجمعيات البريطانية للاجتماع وعلاقتها بالعلم مؤتمراً دام يومين تناول موقع العلم من الصناعة، وكان منظماً من قبل المعهد الملكي. وقد اشترك في ذلك بعض اعضاء الحكومة وعدد غفير من قادة العلم والصناعة. وقد كان السؤال المهم الذي دارت حوله المناقشات في الحرب الحاضرة عن موقع العلم من الصناعة. ويؤكد السير ريشارد غريغوري ان هناك طريقين بين العلم والصناعة وباجتماع هذين الفرعين يعلو مستوى الحياة وينظم شكل المجتمع اذا عرف نسبة ذلك مع السياسة الوطنية والانسانية. ويرى ايضاً المستر ارنست بفين انه من المهم جداً ان تنزل المباحث العلمية الى المستوى الشعبي، من اجل ذلك يجب اهتمام سواد الامة بالاكتشافات. وقد اعرب البرفسور ا. ب دودس الاخصائي في الكيميا والحياتية والذي أسهم في اكتشاف البنسلين والاينسولين بصورة واضحة عن اهمية الكيمياء الحياتية في الحياة الانسانية.

اتجهت اخيراً في الجلسات النهائية للمؤتمر المار الذكر المناقشة من اجل المستقبل، واي شيء باستطاعة العلم تكميله وقد اعرب اللورد والتون وزير الاشغال ان احسن شيء تقوم به منابع العلوم حصول التماس القوي بين رجال العلم العاملين في الصناعة وبين المشتغلين في الجامعات. اذ على هذا الاساس يمكن الحصول على التكامل بين البحث والنتيجة العملية. فمن الواجب المحتم على الحكومة ان تجهز البحث العلمي في الطب والزراعة والصناعة والامور الاساسية الباقية، كل على حسبه، بما يلزم. لان العالم (والمقصود من ذلك المتخصص بالعلوم الطبيعية) ينبغي ان يلعب دوراً كبيراً في السلم والحرب.

حلب

محمد يحيى الهاشمي

هكذا اختارت رباب

بقلم الدكتور نقولا فياض
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

✯

المشهد عند الاصيل في حديقة قصر الساحر .

الساحر : اهلا برباب فاتنة الاسماع والقلوب .

رباب : لقد وفيت بوعدي فجئتك على الرغم من تكاثر الدعوات عليَّ . على اني لن اطيل الاقامة عندك هذا المساء لارتباطي بحفلة حاكم البلد .

الساحر : الا ترين انه حان لي ان اتمتع بخلوة معك بعيداً عن جمهرة المصفقين والمهللين ، بعد ان انقضى عام كامل وانت تعدين ولا تفين ؟

رباب : وماذا استطيع وانت تعلم انهم لا يدعون لي دقيقة حرة من وقتي .

الساحر : نعم اعلم ان رباب مليكة الغناء والاوتار ، وشمس هذه الامصار ، وان الناس يقبلون عليها وفودا ويملأون دارها سجدا وقعودا محرقين على اعتابها البخور حاملين لها هدايا اللآلىء والعطور . وما اعطي لكل انسان مثل هذا السلطان فهنيئاً لك .

رباب : آه لو كنت تدري . لقد سئمت هذه الحياة الفائرة وملّت نفسي تلك الوجوه الكاذبة . وتعبت اذناي من سماع كلمات المديح التي لا تتبدل . ينتشرون كالجراد في بيتي ، وليس فيهم من يحمل بين جنبيه حباً مخلصاً . كلهم كالعبيد يقبلون اناملي دون ان تصل حرارة شفاههم الى قلبي . يحسدني الناس وانا اولى الناس بالشفقة . اتقلب بين الذهب والجواهر وقلبي تاعس بائس . فانا هنا لأروي غليل الاهواء المضطرمة ولا اجد من يروي غليلي . آه كم اود ان ارى غير هذه الوجوه واسمع غير هذه الاصوات . من يأتيني بالجديد الذي تصبو اليه نفسي ؟

الساحر : الجديد وهل تجدينه في غير هذا المكان .

رباب : وماذا في وسعك ان تعمل ؟

الساحر : كل ما تريدين وكل ما تحلمين به وما لا تحلمين ، لقد احببتك حباً فائقاً وبذلت في سبيل رضاك ما لا يستطيعه بشر ففجرت الماء من الصخر وخلقت الواحة من القفر ووضعت على رأسك درة لم يظفر بها تاج سليمان . وسخرت العالم لخدمتك ولا ازال بعيداً عنك بعد الثريا عن الثرى .

رباب : ماذا يهمني المال والحلي والازهار والمجد وهي مباحة لكل انسان هات لي شيئاً يختص بي دون سواي فيكون ملكي ولا يصل اليه مخلوق غيري . شيئاً صغيراً ولكن فريداً لا مثيل له فأرضي به هوى نفسي الظمآنة الى الجديد .

الساحر : وماذا تريدين ؟ مري فتطاعي .

رباب : (تتطلع هنا وهناك) ماذا اريد ؟ انظر الى هذه الازهار التي في حديقتك .. ما اجمل منظرها واطيب عرفها ولكنها ازهار تجدها في كل مكان ويحملها كل انسان فهل لك وانت الساحر ان تخلق لي زهرة نادرة احملها وحدي ولا يحملها من بعدي احد . زهرة تكون لرباب دون سواها فتموت على صدري واتلقى انفاسها الاخيرة وعلى الدنيا من بعدها السلام !.

الساحر : تريدين اعجازي وتنسين اني ساحر هذه الديار ، واياي عنى الشاعر بقوله : ما شئت لا ما شاءت الاقدار ، فتعالي معي لاعطيك ما تتمنين .

(يتمشيان قليلا) رباب : اين هي ؟

الساحر : في هذه الزاوية من الحديقة زهرات ثلاث خبأتها عن الناس حذراً من الابصار ان تخدشها والايدي ان تمد اليها . انظري هذه واحدة منها .

رباب : حقاً انها لزهرة جميلة . ما ألطف هذا اللون الشفاف ، واعذب هذا

الاريج ، وابدع هذا التصوير . لقد رأيت مثلها في احلامي فما تكون يا ترى وما اسمها؟

الساحر : هذه الزهرة هي الجمال .

رباب : يعني ؟

الساحر : يعني اذا حملتها حملت جمال العالم فلا يبقى على الارض جميل حتى انت نفسك تضيعين جمالك عند ضياعها ولكن صوتك لايزال فاتناً وقلبك خافقا بالحب .

رباب : اصحيح ما تقول؟ اذا قطفتها زال الجمال من العالم .

الساحر : نعم .

رباب : وجمالي ايضاً ؟

الساحر : عند ذبولها ، نعم .

رباب : لا، لا يمكن هذا فجمالي من الله لا منك .

الساحر : تريدين زهرة تزينين بها صدرك ولا يحملها من بعدك احد . ولكن للزهرة اجل كما للانسان وحسبك ان تتمتعي وحدك بالجمال بمقدار حياة الزهرة .

رباب : ولكن جمالي ، جمالي ، من يعوضني بجمالي ؟ (غناء)

وارحمتاه على الشباب
ان زال حسنك يا رباب
للبدر مثلي وحشة
ان يحتجب خلف الضباب
ايه يا بدر يا شقيقي وندّي
اترى في السماء تطلع بعدي
ورياض الهوى بلا ازهار
ساحر الارض لا يريدك عندي
فتودع من كل صاحب وجد
بعد ما كنت فتنة الانظار
وارحمتاه على الشباب
ان زال حسنك يا رباب

الساحر : اذن ترفضين ؟

المغنية : دعني منها ايها الساحر فمن الصعب ان تتخلى المرأة عن جمالها وهات لي زهرة غيرها لا يكون من ورائها ألم ولا تبعث على الندم .

الساحر : كما تشائين . فانظري هذه الزهرة .

رباب : ما اشد احمرارها .

الساحر : انها مصبوغة بدم العشاق .

رباب : وما اسمها ؟

الساحر : اسمها الحب !

رباب : يعني ؟

الساحر : يعني انك اذا قطفتها لا يبقى حب في العالم حتى انت نفسك ينكرك الحب وتنكرينه، ولكنك تظلين مليكة الجمال والناس حول عرشك يسجدون ويكبرون .

رباب : (تهم بقطفها ثم ترجع) وما يفيد الجمال بلا حب وما معنى الحياة اذا سكن القلب الخفاق وبردت جذوة الاشواق .

(غناء)

هو الحب روح وراح ، ونور الصباح
نعيم الحياة ، ربيع الوجود جمال وجود
احب ولو ان حبي عناء
احب ولو كان فيه الفناء
احب ولو ان من مقلتيّا
تسيل بحور على وجنتيا
فما الحب الا لهيب الضلوع
تبخر حتى جرى في دموعي
وحتى تلاقى على شفتيا
فأسمعت الكون لحن الخلود
هو الحب روح وراح ونور الصباح
نعيم الحياة ، ربيع الوجود جمال وجود

الساحر : ماذا تريدين اذن . كوني جميلة واستغني عن الحب او تمتعي بالحب واستغني عن الجمال .

رباب : اريد الاثنين . وهل ينفعك جمالي اذا خمدت ناري وسكنت اعصابي وطوينا معاً صفحة التصابي ؟ واذا أبقيت لي الحب وحده فمن يؤكد لي انني اجد لعواطفي صدى في القلوب بعد ضياع الجمال ؟ ارني الزهرة الاخيرة وانا اعدك وعد حر ان اقبل بها مهما تكن عواقبها عليّ . هذه الزهرة سأقطفها متحملة ما وراءها من الحرمان ما دام جمالي محفوراً وحبي موفوراً .

الساحر : هاكها .

رباب : يا لها من زنبقة بيضاء يبهر الابصار نقاؤها . اني لا اراها تقل جمالا عن اختيها فما اسمها ؟ قل ولا تخف فقد وعدتك ولا ارجع عن وعدي .

الساحر : اسمها الامانة .

رباب : يعني؟

الساحر : يعني اذا قطفتها اختفت الامانة من الارض حتى انت نفسك يخونك الناس وتخونينهم غير انك لا تخسرين شيئاً من جمالك ولا من سلطانك على القلوب فتحبين وتحبين .

رباب : (غناء)

يا رب حائرة وما ذنبي سوى
قلب يحب وطلعة حسناء
ان كان لا بد الخيار فانني
افديهما بأماني ووفائي

الساحر : تفضلي اذن وزيني بها صدرك وتعالي فالليل لنا .

رباب : ولكن اتنسى انني مرتبطة بحفلة الحاكم هذا المساء؟ فانتظرني الى الغد فانا لك .

الساحر : الى الغد ؟

رباب : نعم الى الغد .

الساحر : وما اصنع وحدي هذه الليلة؟

رباب : (ضاحكة) تصلي بحرارة كي لا تذبل زهرة الامانة على صدري هذا المساء .

نقولا قباض

هاجس

☆

لعبد السلام عيون السود

حمص

شقراء ، يا شقراء ، يا لمحة ... شـاردة من حلم أخضر
سرّحك الغيم على كفه ... من غرف الفجر ، ولم تشعري
لونك رفّ الورد لم ينسفح ... ولم يزل في غصنه الأنضر
وخطوك السماح ، أيّ ضحى ... مرَّ به يومـاً ولم يعـثر
وعطرك الهائم ، مرّت على ... أجوائه كف الربيع الطري
شقراء ، ما أنعمهـا عودة ... لشدونا وحبنـا الأطهر
ما ضرّ لو عدنا ، وعاد الهوى ... يهمس في بختنـا المقمر
نعانق الاسحـار مبتـلة ... ونحتسي من هالها المبكر
ونقطف اللذات رقراقـة ... من طلّع تطفو ، ومن غورّ
نودّ لو صرنا الى شعـلة ... لاهبـة في مرتـع أحمر
عفوك يا شقراء ، عفو الهوى ... عفو انفلات الهاجس المضمر
أسرفتُ أسرفت ولم أرتدع ... سألتك اللذات ان تغفري
على ضفاف الكأس، قد أجهشت ... روحي .. فنام لها سمّري

☆

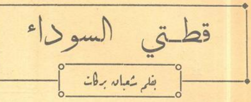
زحلة

☆

لجوزف مجا

كانت التيفوئيد قد انتشرت في زحلة لبنان ، بلد الشاعر وكثرت ضحاياها فنظم لها هذه الابيات

جنةٌ ، انت يا ربوع زحيله ... سلسل الحسن في ضفافك نيله
بلدة تنبتُ الجمـال وتوحي الشعر والسحر : انهـا لجميله
هي في دفقة النسيم اريجٌ ... عندما يرسل النسيم عليله
تتهادى في فوحة الروض في عبقة هـذا العبير بـين الخميله
واراها في اوجه الحسن والدل جمالا ، وفي العيون الكحيله
مطرح من مطارح الخلد حياً ... طيف رضوان في الضفاف نزيله
لا اعي الحسن والجمال لفرط السحر فيها ، فكيف لي ان اقوله؟..
لست اروي من عبقر السحر في رائع هذا الجمـال الا قليله
هي في خاطر الزمان نعيم ... آلهات الابداع تهوى ظليله
اطلعت في سمائها كل بدر ... لست اخشى على الزمان افوله
وهي عندي انشودتي وصلاتي ... كلما مرّ ذكرها أنحني له
غير اني ارى زحيلـه ثغراً ... اين قومي اين الوجوه النبيله
هل تخلى عن العرين اسودٌ ... ام تلاشى حلم العلى في زحيله
سرح الداء في الربوع طليقاً ... وعـلى الرابيات مدَّ ذيوله
أآمنتم من فتكه بينيكم ... وقطعتم على الوباء سبيله ؟..
قد يهون الممات في طلب المجد . ويحلو الظـلام ، الا طويله



مهداة الى روح « فرانز كفكا »

★

بعد وفاة والدتي عشت مع قطتي السوداء عيشة الاخ مع اخيه. فكنت اخلو بها في غرفتي وكثيراً ما نمت وهي بين احضاني رغم تهديدات جدتي – رحمها الله – لي. اذ كانت تخاف علي من البراغيث الكثيرة التي كانت تمرح في جلدها اما انا فلم اكن لاعبأ بكل هذه التهديدات بل كنت اضمها الى صدري واطبع على جبينها قبلات حارة كتلك التي كانت تطبعها امي على جبيني.

وكنت اجد لذة فائقة في مداعبتها لاسيما اذا كانت تلك المداعبة في الظلمة الحالكة حيث لا رقيب ولا زاجر. وكثيراً ما كانت قطتي المحبوبة تضع حداً لمداعبتي هذه الفظة الغليظة فتعضني بانيابها الصغيرة الحادة او تجرحني بمخالبها الدقيقة وفي الصباح كنت استيقظ فاجد بقعاً من الدم حمراء قانية قد جمدت على يدي ولطخت ثيابي فاسارع بغسلها كي لا يراها احد واعود الى قطتي السوداء اعنفها باطف على انها لم تكن تفهم علي لغتي.

ولقد شببت عن الطوق وقطتي لا تزال الى جانبي ترقد معي في سريري وتتناول معي طعامي وتتنقل معي في انحاء البيت حتى اذا ما اردت الخروج الى السوق ابت الا ان تكون في صحبتي وهي تموء مواء مزعجاً. ولكنني كنت اخشى اذا انا خرجت بها الى السوق ان يرى الناس سوادها فيعيبونها علي رغم انني لا حيلة لي في هذا السواد ورغم ان عينيها زرقاوان تلمعان في حالكة الليل كما يلمع النجم في الليل البهيم.

غير ان قطتي ما كانت لتعبأ بخوفي هذا بل كانت تنتهز فرصة غيابي لتخرج الى السوق تتجول فيه لتبحث لها عن فأر تقتات به ذلك انها سئمت طعامي النظيف وتاقت الى طعام آبائها واجدادها الاولين. وكنت التقي بها في السوق فاسرع في الهرب منها واغير طريقي.

وفي المساء كانت قطتي تعود فلا اجرأ على معاقبتها ذلك ان قطتي قد كبرت هي ايضاً كما كبرت فغلظت انيابها وقويت مخالبها واصبحت لا تصبر على الدعابة والمزاح ناهيك بالزجر والتعنيف. واصبحت تقضي الليل في الحديقة مع قط الجيران بعد ان كانت تقضيه في سريري وعلى ساعدي حتى انها كانت في زمهرير الشتاء وبرده القارس، تنساب من الشباك اذا ما سمعت مواء القط يدعوها الى ليلته الحمراء.

وهكذا اصبحت وحيدا لا انيس ولا رفيق وتخلت عني قطتي التي وضعت فيها املي وثقتي ولهذا اشتريت تمثالا اسود لقطتي وضعته في غرفتي وكنت انظر اليه في حالكة الليل فالهو بالتطلع الى البريق المنبعث من عينيه الزرقاوين. وكنت اشعر بالامن والطمأنينة ولكني لم اكن قط لاستشعر الدفء الذي كنت اجده في قطتي السوداء.

وفي اواخر الليل تعود قطتي من رحلتها متعبة منهوكة فترقد الى جانبي وكأنها قطعة من الخشب باردة جامدة لا حراك فيها ولا حياة! وفي الليلة الماضية عادت كعادتها وفي الصباح وجدتها مخنوقة بجانبي وقد انطفأ بريق عينيها واستغرقت في نومها الابدي. كما ان بقعاً من الدم الاسود قد لطخت فمها ويدي. وكان الدم لا يزال حارا فشعرت به يحرق يدي فترتفع ابخرته الى منخري فتملأهما برائحة كريهة!.

اقتربت من قطتي اريد ان ارفعها لادفنها في الحديقة ولكنها كانت ثقيلة جدا بحيث لم استطع حملها وخفت ان انا دعوت الجيران ان لا يستجيبوا لدعائي. ماذا اصنع؟ فتركتها في السرير وخرجت افكر في امري. وفي المساء عدت فوجدت البيت قد تصاعدت منه رائحة كريهة فجزعت واردت ان اقضي على هذه الرائحة سريعاً والتي سوف يشمها الجيران فيطلبون تطهير البيت.

هرعت الى السوق واشتريت زجاجة من العطر ورششتها على السرير وفوق اللحاف وسائر انحاء المنزل. ولم استطع الرقاد في سريري فنمت على الارض لانني لا املك غير سرير واحد ولكني لم استطع الرقاد لان الرائحة كانت تتصاعد قوية خانقة ولم اكن املك سوى غرفة واحدة فقد خرجت من البيت ولم انم في المطبخ خوفاً من الجرذان! خرجت اطوف الشوارع غير ان الرائحة كانت تتصاعد من يدي واثوابي واخذ النـاس ينظرون الي شذرا ثم يضعون ايديهم على انوفهم ويغمزون باعينهم يحذر بعضهم مني بعضاً.

هرعت الى البحر علّ البحر يطهرني من هذه الرائحة ولكن امواجه هربت مني في جزرها. واسرعت الى النهر علّ النهر يطهرني ولكن امواه النهر فرت مني ايضاً وقصدت الينابيع علّ الينابيع تطهرني ولكن مياه الينابيع غاضت. فانتظرت فصل الشتاء علّ امطاره تطهرني ولكن امطاره كانت تعقد فوقي مظلة واقية! ماذا أفعل؟ لم يبق امامي الا ان اذهب الى الصحراء القاحلة اتطهر تحت سمائها الملتهبة.

كلف الشمس

بقلم عبد الخالق عبد الرحمن

☆

بحث هذا العنوان قرأت كلمة في حقل الاخبار العلمية في الجزء السادس من مجلة الاديب الغراء وتعقيباً على هذه الكلمة اود أن اوضح الى القراء نبذة مختصرة عن الكلف الشمسي .

الكلف التي تبدو على وجه الشمس والأشعة الكونية والعواصف المغنطيسية ظاهرات طبيعية متباينة ولكنها تتباين كأن بينها اتفاقاً على الاتساق في تباينها وقد كانت هذه الحقيقة لغزاً حتى عهد قريب الا ان العلماء شرعوا ينفذون الى حقيقته .

في ٢٥ – كانون ثاني – ١٩٣٨ حدثت اعظم العواصف المغنطيسية التي رصدها العلماء في السنين الاخيرة فتأثر بها الراديو حتى كأن قوة خفية جمّدت امواجه في الفضاء ، واضطربت بوصلات السفن ، وعجزت اسلاك البرق عن نقل رسائله لتوليد تيارات متأثرة قوية فيها واشتد ظهور الانوار القطبية وفي الوقت نفسه اذاعت المراصد وجود كلفة على وجه الشمس تفوق في حجمها الكلف المألوفة وكانت هذه الكلفة – بحسب الرأي الحديث – إعصاراً من الغاز المتوهج يتسع لعشر كرات كل منها بحجم الارض . اما الاشعة الكونية التي قلما يبدو تغير ما في قوتها فبدا للباحثين انها اضعف في تلك الفترة من مستهل هذه السنة مما هي عادة . وكان الباحثون قد اثبتوا ان لا صلة بين الشمس وهذه الاشعة فاذا حدث حتى اثر فيها الاضطراب المجتاح قرص الشمس ؟ ان الكلف الشمسية في رأي الفلكيين اعاصير تنتاب سطح الشمس ويكون تجاه المادة الى الخارج والغازات المتجهة من قلب الشمس الى خارجها تتمدد فتبرد وقد يكون الغاز في هذه الفوهة المفتوحة في الشمس ابرد من الغازات التي تحيط بها نحو الف درجة ولكن ذلك لا يمنع ان يكون غاز الكلفة شديد الحرارة وان تكون حرارته كافية بفصل بروتونات الذرات عن كهربائها فتنطلق البروتونات والكهربات في الفضاء بقوة عظيمة .

وقد يعلو كاف الشمس ألسنة تندلع من سطحها الى الفضاء المحيط بها وليس بالنادر أن يبلغ ارتفاعها عن سطح الشمس ٢٥٠ مليون ميل اي مقدار بعد القمر عن الارض تقريباً ، وهذه الالسنة الغازية المندلعة من الشمس تلطف مادتها رويداً رويداً كلما بعدت عن مصدرها حتى تصبح هباء خفيفاً لا يرى . الا ان الذرات المنطلقة من اعاصير الشمس تبقى سائرة في الفضاء بين النجوم وقد تبقى الكلفة ثلاثة اسابيع او اربعة بغير ان تندلع منها هذه الالسنة النارية وقد تندلع الالسنة ولكنها لا تكون متجهة صوب الارض . اذ لا يخفى ان الارض لا تزيد على نقطة صغيرة في الفضاء . وعلى الرغم من صغر الارض بالقياس الى الشمس وبعدها عنها يصيبها احياناً رذاذ من هذه التيارات المنطلقة في الفضاء .

ان الدقائق المشحونة في هذه التيارات – وهي كهربات على الغالب – تخضع لنواميس الكهربائية والمغنطيسية من حيث الجذب والدفع . ولذلك تراها تتجمع متجهة الى قطبي الارض المغنطيسيين عند اقترابها من الارض وقد اثبت ملكن من عهد قريب ان تأثير الارض المغنطيسي – او حقل الارض المغنطيسي كما يقال باللغة الانكليزية – يمتد الى ما وراء غلافها الغازي اي جوها ، وعلى بعد ألوف من الاميال عن سطح الارض يؤثر هذا الحقل المغنطيسي في الكهربات المنطلقة في الفضاء .

وارتقيت فوق الرمال الساخنة ولكن الرمال وآت مولولة في عاصفة هوجاء وارتفعت في الفضاء بعيداً عني فحجبت عني نور الشمس فشعرت بالبرد القارس وقد دهمني الليل فاخذت اجرجر اذيالي وتهت في هذه الصحراء المترامية الاطراف . . .

وفي الصباح اخذت خيوط الشمس النورانية تتسرب الي بعد ان هدأت العاصفة واستقرت الرمال . واخذت الادخنة الداكنة تتصاعد مني وانعقدت فوق رأسي غيوماً لم تلبث ان هطلت امطاراً غزيرة فضممت يدي واردت ان اشرب من هذا الماء ولكنه كان مالحاً اجاجاً كاد يخنقني ؟ ثم انقطع المطر وعدت فاذا بقطتي تعدو في البيت خفيفة رشيقة !

القاهرة شعبان بركات

صوب الارض فيحرفها الى القطبين المغنطيسيين ، ولا يمتنع الانحراف الا عن الاشعة الشديدة النفوذ ، ولكن معظم الاشعة الكونية ينحرف كذلك .

وعندما تصبح تيارات الكهربائية المنطلقة من الشمس على بضع مئات من الاميال من سطح الارض تبدأ تصطدم في سيرها بدقائق الهواء فينقل الى هذه الدقائق جانب من طاقة الكهيربات فتصبح هذه الدقائق في حالة (تهيج) فتتحول طاقة الاصطدام فيها الى (تألق) وهذا التألق هو ما يطلق عليه اسم الشفق القطبي او الانوار القطبية . وفي الوسع الرجوع بشكل هذه الاضواء ولونها الى الكهيربات الواصلة الى جو الارض من الفضاء وتباين طاقاتها .

وقد عمد العالم النرويجي ستورمر الى تصوير الوف من هذه الاضواء ثم بين كيف يرجع كل شكل من اشكالها الى طائفة من دقائق ذات طاقة معينة منحرفة في حقل الارض المغنطيسي ولا يخفى ان من القواعد الطبيعية المسلم بها ان الفعل ورد الفعل متساويان فاذا انحرفت طائفة كبيرة من الدقائق المكهربة بتأثير حقل الارض المغنطيسي واتجهت في انحرافها صوب القطب فأحدثت الاضواء القطبية الباهرة، فالطاقة التي انفقت في حرفها اخذت من حقل الارض المغناطيسي فأصاب هذا الحقل شيء من التغيير ولما كانت هذه الدقائق المكهربة ليست قادمة من جميع الجهات على السواء فالتغيير لا يصيب حقل الارض المغنطيسي في جميع جهاته على السواء فيتجه الحقل المغنطيسي من تلقاء نفسه الى المساواة . وهذا الاتجاه يدون اضطراباً في بوصلة الملاح ولا يخفى ان علماء الطبيعة اثبتوا من عهد فاراداي ان سلكاً متحركاً في حقل مغنطيسي مستقر يولد فيه تيار كهربائي وان سلكاً مستقراً في حقل مغنطيسي متحرك يولد فيه تيار كهربائي كذلك . وكذلك يولد التغير في حقل الارض المغنطيسي – سعياً وراء العودة الى الاتساق – تيارات كهربائية في اسلاك الشركات البرقية . فاذا بلغت هذه التيارات المؤثرة درجة معينة اضطرب نظام ارسال الاشارات البرقية . ويطلق على الاضطرابات التي تقع في حقل الارض المغنطيسي (عواصف مغنطيسية) والعواصف الكبيرة التي من هذا القبيل نادرة . ولكنها سواء اصغيرة كانت ام كبيرة تدل على وصول تيارات من الدقائق المكهربة من الشمس الى الارض .

وقد نسأل ما مصير هذه الدقائق ؟ عندما تصطدم هذه الدقائق بدقائق الهواء يمتصها الهواء فتؤثر فيه فوق الطبقة المعروفة بطبقة كنلي هيفسيد وهذه الطبقة اشبه ما تكون بدثار كهربائي يحيط بالارض على ارتفاع معين وقوامها ذرات اصابتها الاشعة التي فوق البنفسجي فأينتها ولذلك يصيب هذه الطبقة تغير يومي بين الليل والنهار . ففي اثناء الليل تعود شظايا الذرات المؤينة الى التجمع فتبني منها ذرات كاملة ثانية فاذا اتصل بجو الارض تيار من الدقائق المكهربة تعاونت مع الاشعة التي فوق البنفسجي في فعل التأيين فيزداد عدد الذرات المؤينة في تلك الطبقة ومن خصائص الغازات المؤينة انها تعكس الامواج الكهربطيسية اي امواج الراديو كما لا يخفى ومن الطبيعي أن يصيب فعل الانعكاس تغير اذا اصاب الطبقة العاكسة تغير في بنائها فلما حدثت (العاصفة المغنطيسية) اخيراً لم يدهش مهندسو الراديو ان يجدوا تلاشياً في اشعة الراديو القصيرة التي تجتاز المحيط الاطلنطي فاضطروا أن يغيروا طول الامواج التي يذيعون بها لكي يتمكنوا من الاحتفاظ بالاتصال اللاسلكي . وذلك لانه عندما تتأثر طبقة كنلي هيفيسيد باشعاع الكلف الشمسية تصبح وهي احسن عكساً لأمواج لاسلكية معينة دون غيرها والاشعة الكونية تصل الى الأرض من رحاب الفضاء ولو انها كانت تصدر من الشمس لكانت اقوى في النهار منها في الليل ولكن ذلك لا يقع . فالتغيير في الاشعة بين الليل والنهار لا يزيد على خمس واحد في المائة حالة ان التغيير في ضوء الشمس يهبط الى صفر تقريباً على جانب الارض المظلم . واذا كان هذا كذلك فلماذا تضعف الاشعة في اثناء العواصف المغنطيسية؟ ان الجواب عن ذلك منطو في طبيعة هذه الاشعة نفسها .

ان جانباً من الاشعة الكونية على الاقل دقائق مكهربة تأتينا من مصادر مجهولة في رحاب الفضاء . وطاقتها تتباين من ملايين الى عشرات الملايين من الفولطات . فدقائق هذه طاقتها قلما يؤثر حقل الارض المغناطيسي في حرفها . ولكنها تنحرف قليلاً فتبدو وهي قرب القطبين اشد مما هي عند خط الاستواء بمقدار عشرة في المائة فاذا تغير الحقل المغنطيسي الذي يحرفها تغيرت شدتها . واذن فالاشعة الكونية التي لا تتأثر بالشمس عادة تتأثر بما تطلقه الكلف الشمسية من دقائق مكهربة تؤثر في حقل الارض المغنطيسي الا أن التغير في الاشعة الكونية ليس كبيراً ولم يكن قياسه بالمستطاع الا في العهد الاخير وبعد اتقان اساليب القياس الدقيقة وقد اعلنت هذه الاساليب اولاً في ٢٥ نيسان ١٩٣٧ ثم حدثت العاصفة المغنطيسية في كانون الثاني ١٩٣٨ فظهر الاثر في الاشعة الكونية كما كان متوقعاً .

بغداد عبد الخالق عبد الرحمن

المرأة والنقد

☆

بقلم عبد اللطيف شرارة





هناك ظاهرة قلّ ان يلتفت اليها الناس، بل قلّ من يلحظها من الباحثين، وهي ان فلاسفة الاجتماع، بله الادباء والشعراء، يتناولون المرأة عندما يتناولونها بالدرس والتحليل، كنوع، اي أنهم لا يفترضون أي فارق بين امرأة وامرأة خلاف موقفهم في موضوع الرجل. وذلك ما حدا بأناطول فرانس ان يقول: «هناك المرأة ولكن هناك رجال».

واذا أردنا تعليل هذه الظاهرة يفضي بنا البحث الى تقريرها كحقيقة ايجابية لا يمكن ردها الى ناحية سلبية مهما دققنا في الموازنة وأسرفنا في تحري الانصاف. وذلك لان خصائص المرأة الذاتية التي تفصلها عن الرجل تنحصر كلها في «الانوثة» وما يواكبها من رقة في الاحساس، وسعة في الخيال، وميل غريزي للتفاصيل، واهتمام خاص بالحياة الاجتماعية، وانصراف كلي للسيطرة على الرجال.

هذي هي خصائص كل فتاة، سواء كانت عالمة او جاهلة، رفيعة او وضيعة، بدوية او حضرية، ولكن هذه الصفات تتشكل آلاف الاشكال، وتتلون مع آلاف الحالات، وفق الانظمة الاجتماعية، والقوانين السياسية، والتقاليد التاريخية، والظروف الشخصية، الا أنها ثابتة مستقرة، واستقرارها هو الذي يحملنا غالباً ننظر المرأة كنوع لا كفرد، دونما تمييز بين فتاة وفتاة من الوجهة السيكولوجية.

على أن نظرة الرجل للمرأة تختلف بحسب أنواع الرجال، بحسب نفسياتهم، بحسب طباعهم، بحسب مجتمعاتهم. ومن هنا نشأت مشكلة «الحب» الذي لا يتقيد بظروف، ولا يذعن لفوارق طبقية او دينية او مذهبية، ولا يتبع في ظهوره نهجاً خاصاً. وانما ينبثق عن قوى نفسية مجهولة تحقق ذلك التجاذب العنيف بين مخلوقين مختلفين.

نظرة الفنان للمرأة

كيف يرى الفنان المرأة ؟

هذا هو السؤال الذي تهم الاجابة عليه بصورة عامة دون ان يتخطى الباحث دائرة الحقائق الشاملة :

عندما ابصر لامرتين الشاعر الافرنسي الشهير بدوية تدخن النار جيلة ، وبعثت في نفسه الاعجاب ، خاطبها بقوله :

الشعر في ألحاظ عينك نائم ... واذا وددت يفيق بالتحريك
أما اذا شاءت عيونك ان ترى ... في الشعر أجمل ما به ، يسبيك
فتأملي في الحوض حسنك مشرقاً ... فبدائع الأشعار لا تحكيك(١)

في هذا الموقف نجد ان لامرتين — وهو الفنان— نظر للبدوية كقطعة فنية أثارت اعجابه وما ذاك الا لما رآه فيها من جمال ايقظ في نفسه متعة خاصة ، وألهب فؤاده بعاطفة خاصة .

وكذلك قل في سائر رجال الفن من موسيقيين ومصورين ومثالين،فانهم يرون في المرأة تحت تأثير عواطفهم عالماً فنياً يغريهم جماله ، وتصبيهم الوانه ، الى ان تتمثل المرأة لعيونهم جزءاً من فنهم لا يتجزأ .

ولست في حاجة الى ذكر الامثلة فانها كثيرة من جهة، دامغة الحجة على صحة ذلك من جهة ثانية،وعلى الأخص عند الرسامين والمثالين الذين يتخذون المرأة « اداة تعبير » في كل ما يصورون وما ينحتون .

نظرة المرأة لنفسها

كيف ترى المرأة نفسها ؟

يخيل للقاريء ان السؤال مضحك ، إذ ما يدرينا نحن الرجال كيف تنظر المرأة لنفسها ؟! وهل اتيح لرجل ان يدخل روح المرأة ويعرف ما يجول في غياهب فضائها ؟ ولكن هناك مظاهر عامة تدلنا على ما يخفانا ، وتوضح لنا البواطن عندما نوغل في البحث ونمعن في التحليل .

تأمل ان كل فتاة يهمها جمالها الخاص ، وان كل فتاة تدرس تقاطيع وجهها بدقة ، وتبذل ما في وسعها لاخفاء ما يشوه قسمات محياها اذا كان فيها ما يشوهها ، وابراز ما يوقظ الفتنة منها اذا كان فيها ما يفتن ! ثم تأمل قيمة هذا الجمال في نفسها ، فهي تعتمد عليه في فرض شخصيتها ، وتحاول ما استطاعت ان تجعله قوي التأثير على الغير ، ثم انها تحاق حوله من الحواشي ما يزيد في سحره وتأثير سحره كعنايتها بهندامها ورعايتها للازياء وافتنانها العجيب في تجميل شعرها وتزيين قوامها ، وزخرفة كل ما يتصل بظهرها الخارجي مما يدل دلالة صريحة على انها تريد نفسها كما يريدها الرجال ، اي جميلة فاتنة ساحرة ، فهي اذن تعتبر نفسها ايضاً قطعة فنية ، وتعنى بنفسها كما يعنى الشاعر بقصيدته ، والرسام بصورته، والمثال بتمثاله .

كذلك الناس كوحدة فانهم ينظرون للمرأة من حيث جمالها ولا اقصد بالجمال المظهر الجسماني فحسب ، وانما اعني«الجمال المطلق» في ارحب معانيه واوسع آفاقه ، ان في الصورة الخارجية ، وان في الاخلاق ، وان في المميزات الخاصة كالاتزان والوداعة والجلال ، وما الى ذلك من الصفات الروحية الخالصة .

بين الفن والمرأة

فاذا كانت النظرة الشاملة للمرأة تضعها في صميم الفن ، واذا كانت المرأة ذاتهـا تقر هذه النظرة اقراراً عفوياً يظهر في جميع تصرفاتها الخارجية وحالاتها النفسية ، وجب ان تكون هنـاك صلة متينة ثابتة بين روح المرأة وروح الفن . وليس اسهل من التدليل على قوة هذه الصلة في آثار العباقرة الملهمين من شعراء العالم وفنانيه . فهذا دانتي الايطالي يشخص امثلته العليا كلها في«بياتريس» وهذا افلاطون يفترض نوعاً من الحب العقلي المجرد لاستغلال هذه الرابطة التي تربط المرأة بالفن ، وها نحن نجد العامة من الناس ، ينظمون في حالات الحماسة العاطفية من الاغـاني والمقطعات الوجدانية ما يضارع الادب « الأكاديمي » ويسمو عليه ، فالمرأة ، بعبارة ثانية ، هي « الادب المشاع » الذي يستهوي جميع الناس، وتتوق اليه جميع النفوس ، وتألفه جميع الاذواق ، فهي الفن قائماً يتمثل بكل ما فيه من معان وآفاق وبناء وخيال ؛ فاذا استهوت العظماء وبسطت سلطانها على العباقرة ، فلأن العظماء والعباقرة ينشدون الفن ، ويمجدون الجمال ، سواء وجدوه في المرأة . او في الطبيعة ، او في اي مظهر من مظاهر الوجود .

(١) هذه الابيات من قصيدة طويلة نقلهـا للعربية شعرا المرحوم الياس ابو شبكة .

النقد والفن

من الجلي الواضح ان النقد غير الانشاء ، فهذا يرتكز على المواهب الفطرية وينمو مع التعليم ، ويصقله المران ، وذلك يحتاج أكثر ما يحتاج الى ذوق وثقافة ، ففي استطاعة أي كان ان ينتقد لوحة فنية يراها في معرض ما ، وان يحكم – بحسب ذوقه – على قبحها أو جمالها . ولكن ليس من المستطاع لأي كان ان ينشيء لوحة ويعرضها ، فالناقد الحقيقي الذي يتوخى العدالة في جانب ، ويحمل مثلاً عليا يريد تحقيقها في جانب اخر ، هو الذي يتميز بذوقه اولا ، وسعة ثقافته ثانياً . وثقافة الناقد أمر ضروري لا غنى عنه ، اذ لا يتأتي لرجل ابتدائي في عقليته ، محدود في معلوماته واختباراته ، ان يوفق في تذوق الآثار الفنية تذوقاً حياً عميقاً ، مهما لذت له ، ومهما استمتع بها . ويظهر ذلك واضحاً في الموسيقى ، وهي الفن الصرف ، حيث نجد من السهل تبين الانغام الناشزة من الايقاع المجود ، ولكننا لا نعرف اسباب النشوز والتجويد اذ لم يكن لنا نصيب من الثقافة الموسيقية .

ذوق المرأة

المرأة – كما قدمت – فنية النزعة بطبيعتها ، وحسها المرهف يساعدها كل المساعدة على ادراك مواضع الجمال ، وتمييز مواطن القبح ، فالذوق – وهو موهبة فطرية أكثر مما هو نتاج تربوي – عبارة عن أحاسيس دقيقة تسير الفرد منا ، وتؤثر عليه ، وتوجه سلوكه دون ان نشعر بحقيقتها ومداها في نفوسنا ، وليس ثمة من شك أبداً أن احساس المرأة بالدقائق وفطنتها للتفاصيل أقوى من احساس الرجل ، وأبلغ من فطنته ، وهذا ما يعبر عنه الفرنجة بكلمة Tact ، ومن هنا كان ذوقها سامياً ، وكانت فطرتها صافية بحيث تنفذ الى الجمال بسرعة ، وتدرك قرارته بقوة ، على نحو من التعاطف بينها وبين ما يستهويها من ضروب مظاهره ، التي تود ان تحققها في نفسها وحياتها .

المرأة والنقد

على ضوء هذه الحقائق كلها ، نجد ان المرأة ، على وجه الاجمال ، قابلة لمزاولة النقد والابداع فيه اذا مارسته واتجهت اليه ، لان المادة الاساسية للنقد ، وهي الذوق ، تتجلى في جميع أعمال النساء المثقفات ، فلم يبق الا أن تعنى بالفن عناية صحيحة ، وان تدرس النظريات العميقة ، والمدارس النقدية ، وتتثقف ثقافة واسعة عميقة ، وعندئذ تخرج لنا من حقائق الجمال وخفايا النفس ما لا يمكننا نحن معشر الرجال ان نصل اليه او أن نكتشفه .

أقول ذلك وأنا واثق من صحة ما أقول : واذا كنت أطلق القول ، فلأني في هذا الموقف أدرس المرأة على صعيد خاص لا علاقة له بوظيفتها الاجتماعية ، ولا سبيل معه الى مشاكلها المنزلية ، فمن الواضح ان عبقرية المرأة لا تزال الى يومك هذا ، كامنة مستترة ، فاذا أخذت في التنقيب عنها ، معتبراً ان المرأة «انسان» اهتديت الى هذه القوة – عبقرية النقد – التي لم تستفد منها حضارتنا الشرقية بعد !

ولكن هناك شيئين لا يزالان يجعلان المرأة ضعيفة في احكامها حين تنتقد . الاول : انها تقف غالباً موقف المحب او الكاره ، فهي مساقة حتماً لان تتأثر بعواطفها الخاصة تجاه ما تألفه في الحياة او ما تنفر منه . وهذا مما يشكل خطراً على مبدأ « النزاهة » المفروضة في طبيعة الناقد الحقيقي .

والثاني ان المرأة تغار من الفن ، لأنها هي بذاتها قطعة فنية فاذا اعجبتها صورة ودت من صميم فؤادها ان تكونها ، واذا قرأت قصيدة رائعة ودت ان تكون منظومة بها ، واذا سمعت اغنية سامية ذابت في موحياتها . ولهذا ، كانت المرأة تنظر للفن نظرة انانية ، وهل من مظهر للانانية اقوى من الغيرة ؟ وهل كان الفن يوما من الايام الا صرخات النفس الانانية المفجوعة برغباتها وكهوايتها واحلامها ؟؟

فلتسخط المرأة ، ولتنقد ، ولتغضب ، ولتسخر ، ولتكن انانية . انها ابداً كالفن تدفع بالحياة الى الامام ، وترج الانسان في ميادين الحضارة ، وهي بعد ذلك حبيبة الى الحياة والأحياء ، على كل حال . . .

عبد اللطيف شرارة



ميلاد

أسقني من كأسك العلويّ يا ربة فني
واترعيهـا خمرة الشعر فباخوس يغني
وحوار من ربى الاغريق اضناهـا التثني
وصبابات تهـاوى بين ابريق ودن
هيه يا ربة شعري
نفثات اللحن تسري
في دمي والنار تفري
أضلعي مدفن سري

غنني ليلي وآهاتي واحلام شبـابي
فالهوى غنيّ بالحـان شجيات عذاب
واسبحي يا حلم في أمواج أضواء عجاب
وأمرحي في جو أوهـام خليات رحاب
أين خمري وغنائي
أين لذات فنـائي
كلها ماتت ورائي
في لياليّ هنـائي

هات يا ربةَ إلهـامي كؤوساً مترعات
وانشدي حبي أغانيّ ليال صاخبات
وارو اسطورة عيشي في عهودي الزاخرات
بالهوى والرغبة الكبرى جحيمٌ في الحياة
بالهوى يعصف عهدي
بأمـانيّ وسهدي
رغبتي هولٌ ووجدي
يتلظى، أين نشدي ؟

يا إلاهاتي إلاهات الهوى رفقاً بكأسي
ليس في كأسي الا نفسٌ يهفو بيـأس
ضاع أمسي ويضيع اليوم مني مثل امس
في لهيب الفكر محبوس بعقلي وبحسي
أشعلت وقدةُ فكري

نارها في كأس خمري
ومضت تحرق عمري
آه من كأسي وسكري

ليس كأسي الجامُ ، ما في الجام ترجيعُ النفوس
لا ولا في الجـام آهاتٌ وضحكٌ في عبوس
انما كأسي اهابٌ شفه بأسي وبؤسي
أنا كأسي ، !! وسلافي شعلة تفرى كؤوسي
شعلتي نفسٌ تلوّى
بين أعمـاقيَ دوّى
صوتها العاصف يهوى
أنهـا بالنار تكوي

هيه يا ربةَ إلهامي ، فهل يبقى غنائي ؟
هل سأبقى طافياً في بحر تهويل بقـائي
ضارباً في لجة الموج بمجذاف شقـائي
وأمامي ظلمـات البحر والبحر ورائي
جدّت الظلمة حولي
وانبرى عاصف عقلي
يضرم السهد بليلي
انهـا جنـة سؤلي

هدّني الاجهاد يا بحر وهاقد كل زندي
وهوى المجذاف للقاع وها قد بتّ وحدي
تعبت رأسي ، فهل للنوم يطويني وسهدي ؟
أنت يا بحر كأسي ، وأنا الزورق مهدي !!
غثٌ يا بحرُ حياتي
تتهـادى همساتي
في ترانيم صلاتي
هات يا ربةُ هـات

بغداد — حسام الدين نامي

من حياة شاب

بقلم جلال فاروق الشريف

☆

لا ادري كيف ابدأ الكتابة. الا اني لا اشك في حاجتي اليها فنفسي متعبة حتى التعب، بما لا ادري ما اسميه، ولكنه مزيج من اشياء كثيرة، فيها السأم وفيها الملل، وفيها الشعور كأنها مترعة، تفيض باشياء ثقيلة تجثم في الصدر وتتراكم فيه حتى ينضح بها، فأخفف من عبثها بالتنهدات، لأشعر بعدها بشيء من فراغ، لا يلبث ان يمتلىء فيزول، فيعاود النفس هذا الشعور بالاترع.

أحس بدفء في الرأس كأنه حمى، ولكنه اخف وطأة، لا يرافقه الالم، وانما هو دفء ثابت لا يتزايد او يتناقص، لا يؤلم ولكن يبعث على الضجيج والضجر فينتابني شعور لا استطيع معه ان استقر فاروح اتجول واهيم، اتكلم فأمل الكلام واتأمل كل شيء فأمل التأمل، انفر من الناس، ثم لا ألبث ان امل الانفراد.

يتولاني في مثل هذه الحال احساس كأني ضال، لا ادري الطريق الذي ضللته، ولعلي ان وجدته فقد لا اعرفه، وعلى وجه الصواب لست ادري ما اريد ولا اعرف ما ابغي، موزع قلق مبعثر الفكر مشرد النفس، افكر في اشياء ولا البث ان انتقل الى التفكير بغيرها دون ان احس بأية رابطة بين ما افكر فيه، وما انتقل الى التحليق في اجوائه.

ارى صديقاً فألازمه، ويمل هو التجوال فاتركه ويتركني فأهيم لنفسي وارى غيره فنسير لا ادري الى اين، واتحدث فلا ادري مع من.

هذا الشعور بالسأم او الاحساس بالضلال يستولي علي فلا ادري كيف اتخلص مما بي، لقد قلت لصديق كنت اسير معه منذ لحظات اني لأكاد اؤمن ان الكون والانسان وكل شيء هو كما هو عليه الآن، وقد كان كذلك وسيظل على حاله.

واستوضحني عما اردت فلم اجب. قد اكون اسأت التعبير عن رأي عن لي، الا اني احسست عندما سألني ان لا حاجة بي الى الاجابة والايضاح، فهذا ما قلته وقد انطلق بغتة بعد ان مر بخاطري.

فلم اكلف نفسي عناء الرد والنقاش، فلتمض الافكار فلا حاجة الى اعتقالها ولأدع النفس تنطلق وراء نفسها تبعثر بعضها وتضيع ثم تتجمع لتتفرق. فلم اقسر الفكر على التوقف عند بارق فكرة هي ثانية او اقل من حياته.

لا حاجة للتفكير بشيء اكثر من زمن مروره بالفكر، ولا حاجة للتلفظ بالفكرة اكثر من الزمن الذي يستغرقه تعبير اللفظ عنها للمرة الاولى.

> ... دع كل انفعال وكل بذور العواطف تنضج في نفسك بين الظلام والغموض واللاشعور، هذه المناطق المغلقة بوجه العقل.
>
> رينر ماريا ريلكه

لقد قلت لذلك الصديق ايضاً اني عندما اتحدث، كثيراً ما اصف اللحظات التي امر بها كأنها منعطف خطير في حياتي حتى اصبحت هذه الحياة لكثرة ما وصفتها به من هذه الصفة كأنها منعطفات فلم تعد لهذه الصفة اية قيمة ولم يعد لها ما يقابلها في نفسي.

اما الآن فاشعر ان ليست بي حاجة لان أتلفظ بها. اني لأشعر شعوراً جارفاً اني على قمة هذا المنعطف حتى لألمسه لمس اليد وحتى لتضطرب انفاسي وتتسارع كأني على شفا هاوية، ولئن لم اقرر هذا بلساني فلأني احسه في قرارة نفسي احساساً عميقاً لا يحتاج الى اللفظ ليثبت وجوده فالكيان كله يمور به ويصطخب.

وهنا قال لي ذلك الصديق، ان ما تقوله هو بعينه تلك الاسطورة الجميلة لاوسكار وايلد عن ذلك الصياد الذي كان يتحدث دائماً عن رؤيته للحوريات وعرائس البحر، الا انه عندما رآها حقيقة صمت ولم يعد يتكلم.

مهما تكن تلك القصة ومهما كانت رائعة في انطباقها على الحقيقة فالنفس لا تحيا روعتها الحقيقية الا عندما ينبض بها وجود الفرد ويحس بها حية دافقة في اعماقه.

لقد قلت لذلك الصديق اني لا اجد معنى، في لحظة من اللحظات، لجميع تلك القيم التي اؤمن بها او يؤمن بها الناس، اني احس ان اعظم الاشياء قداسة تافه لا قيمة له، اشك

في حقيقته وازدريه فلا اعبأ به .

ما قيمة هذه المقدسات وما قيمة المثل مهما كانت .

ان المرء يخلق من افكاره اصناماً يعبدها ولا يلبث ان يحطمها — ليعبد غيرها وهو في كل هذا انما يعبد نفسه .

ان كل ما هو مقدس قد انهار بالنسبة لي في هذه اللحظة وأخشى ان تعود الى الاشياء قداستها ولم افرغ بعد من التلفظ بازرائها والشك في قيمتها .

لقد قال لي صديقي بصراحة انك في انهيار نفسي فأجبته اني سعيد لأني اعرف اني انهار وهذه المعرفة هي اساس العودة من جديد .

لا استطيع الان اتخيل كل شيء، بمثله الاعلى وصورته السامية المتناهية في الرفعة ولاسيما فيما يتعلق بالمرأة .

قد يكون ذلك لبعدي عن حقائق الواقع كما يقولون ، الا اني اعلم الانحطاط الذي يعانيه هذا الواقع الذي احيا فيه والذي بدأ يغمرني ، ومع ذلك لا اراني الا متعلقا دائماً بمثلي الاعلى الذي لا استطيع ان احدده بدقة ، الا اني استطيع ان اعرفه اذا ما وقعت عليه واحسست به يجذف روحي لتقع في شباكه .

هذا المثل الاعلى الذي رسمته لنفسي، او رسمته هي لي لا استطيع اينما ذهبت الا ان ابحث عنه كالظامىء ،الا اني امد يدي الى هذا الواقع فلا تعلق بشيء ، واخبط فلا افوز بما يبل — قليلا من الغليل ، فلا تجد نفسي بدأ من الاستسلام اليه ولو قليلا ، والانغماس فيه والقناعة بما يقدمه للنفس التي تقبله كارهة فهي تجد فيه القليل وتنفر منه مولية لانه لا يحقق ما تصبو اليه فتصبح حياتي كلها مزيجاً من تهكم وسخرية من كل شيء .

الا اني بدأت احس ان هذا الواقع بشكله الحي الماثل بدأ ينفذ الى روحي ويتسرب اليها ليحل مكان تلك الصورة العقلية التي كنت قد كونتها عن انحطاطه دون ان المس مباشرة هذا الانحطاط ، وارتسمت في نفسي فلا تعرجها فاستوحي منها كل شيء . ولقد أخذ هذا الواقع يجثم مكان تلك المثل التي اخذت تنهار شيئاً فشيئاً كتماثيل من تراب هبت عليها الريح فأخذت تذروها ببطء لتتلاشى هباء. كلما ازدادت صلتي بالمرأة كما هي في الواقع الذي احياه .

لقد اخذت تلك الآمال التي كنت احلم بها تذوب كالجليد تحت وطأة الشمس كلما ازداد عدد من اعرفهن منها اختلفت صنوف تلك المعرفة وتباينت انواع تلك الصلات التي تربطني بهن .

كنت في بعدي عن المرأة انظر اليها نظرة تقديس واعجاب كأنها من غير هذا العالم ، الا ان كل هذا بدأ يزول عندما ابتدأت معرفتي بها تزداد عمقاً ، وبدأ اتصالي يزداد رسوخاً حتى بت اشعر كأني لم اعرف امرأة ولا اريد ان اعرف ، وباني ومثلي عنها ، اصبحت كالغريب الذي يتلفت مذعوراً واجفاً مما حوله لانه لم يجد من يألفه او يطمئن اليه .

ان هذا النزوع الى المثل الاعلى ، الى تلك الصورة المنقوشة في روحي، لا استطيع التحول عنه، ولئن اخذت القناعة الممقوتة تتسرب قسراً الى نفسي لتقنعني بالواقع الماثل بين يدي ، الذي يلبي في شيئاً لا اشياء ، وقليلا من كثير ، الا اني دائماً في تلك الحالة من التوتر والتأهب بانتظار تلك اللحظة التي تشعر فيها النفس باطمئنانها الى مثلها الاعلى .

الشعر بحاجتي الى ذلك النوع الذي يدعم مثلي العليا ويلهبها ، ويثير في نفسي كامن التفتح والحياة للانطلاق في صميم العاطفة التي لا تستحي مما تسبغ نفسها عليه، فلا تقدس خجلة او تحب على مضض .

لقد بدأت اتحطم لكثرة ما رأيت من ذلك النوع الذي يبعث في اليأس ويدفعني الى النفور . فانا لم المح حتى الان اي بريق يشجعني على الاسترسال في التعلق بهذا المثل، فاأتلق بشرا عندما المح بصيصاً منه في هذا الواقع الذي يثير السخرية ويغمد في القلب خنجراً حتى مقبضه .

لقد بدأت اشك بمثلي الاعلى وبقيمته حتى بت اعتقد انه وهم من الاوهام فهو منبعث من تلك الغريزة الرومانتيكية الشعرية التي تتفجر في الشباب فتفيض عواطفه زاخرة يعج بها قلبه ويمتلىء بتلك الاحلام الذهبية كما يسميها الواقعيون .

اني اتحرق لكي ارى امرأة في هذا الواقع تستطيع ان تكون اكثر من شيء متوسط في كل فن وميدان .

هذه خطرات تأججت في نفسي فاثارت فيها اشياء كثيرة بعثتها فيها كلمة القتها طالبة في احتفال وحديث اثارته امرأة في سمر مساء ونزهة استغرقت يوماً بكامله من اشراقه حتى مغربه مع نساء كانت كلها ضربات قاسية استنفدت ايماني بمثلي حتى اصبح جثة هامدة .

الا اني سأظل دائماً بانتظار تلك اللحظة التي ارى فيها قبساً يحيي هذا المثل الراقد ، فاهرع اليه واتهافت تحت اقدامه مؤمناً به مقدساً له ، ازكيه بروحي حتى يشب ناراً ولو احرق روحي الظامئة اليه في جحيم اتقاده .

دمشق — هلال فاروق الشريف

الوصف والتصوير في الادب المهجري

بقلم عيسى ابرهيم الناعوري

ليس الوصف شيئاً جديداً في الادب العربي ، ولا في أدب اي امة من امم الارض ، فهو من اهم العناصر الاساسية التي يعتمد عليها الادب الحيّ ، للسمو بمادته واسلوبه ، ولتغذيته بعناصر التأثير والنفوذ الى النفوس والمشاعر ، وصبغه بالصبغة الفنية وبالجمال الآخاذ . وفي الواقع إن قلم الاديب يجب ان يجمع بين عصا الساحر ، وريشة الرسّام ، ومرقم الموسيقيّ لكي يتسنى له ان يخلق الادب الصحيح الذي يبقى الى الأبد ، ويظل يتجدد كلما بلي الزمان . فالادب فنّ رفيع ، ومن اهم عناصر الفن : الجمال ، والحرية ، والتناغم .

وتاريخ الادب العربي فيه الكثير من النماذج الجياد من الادب الوصفي والتصويري البارع ، كأوصاف الرياض ، ومجالس الطرب ، وغيرها ، والاوصاف الوجدانية الغنيّة بالشعور والعاطفة ، وحينما نشأت المدرسة الاندلسية ، التي اعتمدت قبل كل شيء على رقة التعبير عن احاسيس الوجدان ، وعن الشعور بجمال المخلوقات ، ونقلت الشعر الى مقاطع غنائية تسيل رقة وحناناً وعذوبة ، كان شعر الاندلسيين الغنائي الرقيق يعتمد كثيراً على الصور والاوصاف الجميلة اللطيفة . ولكنّ هذا الغنى بالصور اللطاف في الادب العربي القديم ظلّ محدوداً موضوعات في نواح من الفن معيّنة ، لا شمول فيها ، ولا امتداد ، فلم تكن تتعدى – الا فيما ندر – اوصاف الرياض ، والخمر ، ومجالس الطرب ، والتعبير عن خلجات الوجدان في الحب والألم ، وبعض اوصاف الحروب ، ومزايا الممدوحين والمرثيين .

فلما ظهرت المدرسة المهجرية ، اعتمدت الى حد كبير على جمال التصوير في الشعر والنثر على السواء ، ولكن على مدى كبير من رحابة الافق الانساني ، ودقة الاحساس بشتى نواحي الحياة والمجتمع ، والجمع بين العاطفة المشبوبة ، والفكر الموجه الحر ، والخيال الخصيب المجنّح . والمدرسة المهجرية تمتاز بهذا كله عن سائر عصور الادب العربي الماضية ، ذلك لأنها كانت بداية موفقة كل التوفيق لصحة ادراك معنى الادب والشعر ، وصلتهما بالحياة والطبيعة ، وارتباطهما بالفن والجمال ، ولتقدير القيم الأدبية والفنيّة الصالحة للحياة .

والتصوير في الادب عامّة ، هو – كما قدّمنا – دعامة كبرى من دعاماته ، تسبغ عليه افانين من الرقة واللطف والجمال ، وتترك في النفس اعمق الآثار ، وهو في الأدب المهجري خاصةً ، احدى مزاياه الجميلة التي برع فيها ، وقدّم منها افانين عجاباً في مختلف صور الحياة ، ونوازع النفس البشرية ، والفكر الانساني .

ومن هذه الصور البوارع ، قطعة نثرية لجبران خليل جبران – والقطع التصويرية عند جبران ، هي عماد ادبه وفنه – يصف فيها « النفس » فيقول :

« وفصل إله الآلهة عن ذاته نفساً ، وابتدع فيها جمالا ، واعطاها رقة نسمات السحر ، وعطر ازاهر الحقل ، ولطف نور القمر . ووهبها كأس سرور وقال : لن تشربي منها الا اذا نسيت الماضي ، وأهملت الآتي ، وكأس حزن وقال : تشربين منها فتدركين كنه فرح الحياة . وبث فيها محبة تفارقها مع أول تنهدة استكناه ، وحلاوة تخرج منها مع اول كلمة ترفّع . . . وأخذ الاله ناراً من مصهر الغضب ، وريحاً تهب من صحراء الجهل ، ورملاً من شاطىء بحر الانانية ، وتراباً من تحت اقدام الدهور ، وجبل الانسان ، واعطاه قوة عمياء ، تثور عند الجنون ، وتخمد امام الشهوات ، ثم اعطاه الحياة ، وهي خيال الموت . وابتسم إله الآلهة وبكى ، وشعر بمحبة لا حد لها ولا مدى ، وجمع بين الانسان ونفسه »

وهذه صورة ثانية له ، على لسان « الجمال » يصف نفسه :

« أنا دليل الحب ، انا خمرة النفس ، انا مأكل القلب ، انا وردة أفتح قلبي عند فتوة النهار فتأخذني الصبية وتقبلني وتضعني على صدرها . . . انا ابتسامة لطيفة على شفتي غادة ، يراني الشاب فينسى

اتعابه ، وتصير حياته مسرح أحلام لذيذة ... انا نظرة في عين طفل ، تراها الام الحنونة فتسجد وتصلي وتمجد الله . تجليت لآدم بجسم حواء ، فاستعبدته ، وظهرت لسليمان في قد حبيبته ، فصيّرته حكيماً وشاعراً ، ابتسمت لهيلانة ، فخربت تروادة ، وتوجت كليوباترا ، فعم الانس في وادي النيل ... أنا ارق من تنهدة زهرة البنفسج ، أنا اشد من العاصفة ...»

وفي وصف جبران « للقبلة الاولى » ، صور روائع من الخيال البارع البعيد الانطلاق . فلنقرأ تلك الاوصاف حيث يقول :

« هي الرشفة الاولى من كأس ملأتها الآلهة من كوثر الحب . هي الحد الفاصل بين شك يراود القلب فيحزنه ، ويقين يفعمه فيغبطه . هي مطلع قصيدة الحياة الروحية ، والفصل الاول من رواية الانسان المعنوي ... هي كلمة تقولها الشفاه الاربع ، معلنة صيرورة القلب عرشاً ، والحب مليكاً ، والوفاء تاجاً ... واذا كانت النظرة الاولى تشابه نواةً ألقتها آلهة الحب في حقل القلب البشري ، فالقبلة الاولى تحاكي أول زهرة في اطراف اول غصن في شجرة الحياة » .

هذا وشل من فيض مما تزخر به مؤلفات جبران من روائع الصور التي يشترك في نسج أبرادها الخيـال الخصيب ، والقلب الرحيب ، والشعور المستوفز الدفاق ، والفكر الموهوب الخلاق . وفي الواقع ان في اوصاف جبران وتصاويره النثرية جمالا وموسيقى وفناً هي السحر الحلال ، فهي شعر فوق الشعر ، وطرب ونشوة فوق فنون الطرب والنشوة ، يدغدغان اعمق خلايا الحس في النفس . فاذا عزف جبران على اوتار الالم ، تجاوبت اصداء ألمـه في كل النفوس ، واذا تهلل ، تجاوبت أصداء تهاليله في كل الصدور . ولا عجب فجبران فنان قبل ان يكون كاتباً ، وفي هذا سر ابداعه .

ويشترك ميخائيل نعيمه مع جبران في هذه المزايا ، فقلمه ريشة رسام عبقري قبل ان يكون مرقماً لكتابة الالفاظ . ومن شاء ان يعرف الى اي مدى بلغت براعة نعيمه التصويرية ، فليقرأ كتابه عن حياة جبران ، وليقف خاصـة عند وصفه لمدينة نيويورك ، او وصفه لماري هسكل ، او لميشلين ، فهنـاك صور من الفن عجيبة الالوان ساحرة الظلال والخطوط .

وقصيدته «الطمأنينة» هي مجموعة صور للسلام النفسي الرخي ، الذي تنعم به نفس الشاعر ، التي اهتدت الى حقيقتها ، وعرفت سبيلها فسارت فيها واثقة ، ولم تعد تخشى ابداً من تقلب الزمـان ، ونوائب الحدثان :

سقف بيتي حديد	ركن بيتي حجر
فاعصفي يا رياح	وانتحب يا شجر
واسبحي يا غيوم	واهطلي بالمطر
واقصفي يا رعود	لست اخشى خطر

***

باب قلبي حصين	من صنوف الكدر
فاهجمي يا هموم	في المسا والسحر
وازحفي يا نحوس	بالشقا والضجر
واترلي بالألوف	يا خطوب البشر

وأنقل فيما يلي قطعة من رسومه النثرية في كتابه «البيادر» .

« ومن صخور السفوح ما عبّد به صنين الطريق التي يسلكها حبيبه البحر عند عودته من زياراته العديدة له ... في الصيف ما ينفكّ البحر يغمر بأنفاسه وجه صنين ، فآناً سحاب وآونة ضباب ، وآناً ندىً ما اظن جنة عدنٍ عرفت ألطف او اخف منه . اما في الخريف ، وقد راح صنين يستعد لغفوة الشتاء ، فيطير البحر الى صنين ليغفو واياه غفوتها الطويلة البيضاء . ويجيء الربيع ، فيستفيق العروسان ، ويبعد أحدهما الى شواطئه في الطرق التي رصفها له الآخر بفلذات من كبده ... » .

وليس من اليسير ان نشير الى شيء من روائع الصور في شعر نعيمه ونثره ، فهي اكثر من ان تحصى ، بل هي مزيّة بارزة اصلية من مزاياه الادبية ، وقد اجتمعت له كنوز فيّاضة وهوبة .

ونأخذ ايضاً شعر ابي ماضي ، فنطالع فيه سلاسل متواصلة الحلقات من الصور البوارع الفاتنات ، ويستمدها الشاعر من الحياة والطبيعة ، ويخلع عليها من شعوره العميق بالحياة والطبيعة ، ومن خياله الخصيب ، فنوناً من الفتنة والبهاء . فاذا قرأنا له «السجينة» او «العلّيقة» ، او « فلسفة الحياة » ، او « الطلاسم » ، او «الطين» ، او ابن الليل » ، او « المساء » ، او « الحكاية الأزلية » ، او « في القفر » او «بين الجزر والمدّ» ، او ما شئنا من قصائده العديدة في دواوينه الاربعة التي تزخر بالابداع والروعة ، فاننـا نجد لديه كنوزاً غالية من اللوحات الفنية النفيسة . في « العلّيقة » مثلاً نجد وصفاً رمزياً ، ليس أبلغ منه ولا اوقع في النفس ، لأولئك الذين يعيشون على النميمة والاغتياب ونهش الأعراض ، فاليك ما يقوله في ذلك واصفاً العلّيقة :

ذات شوكٍ كالحرابِ	أو كأظفار العقـاب
ربضت في الغـاب كاللص	لفتـكٍ واستلاب

نقطع الدرب على الفلاح ... والمولى المهاب
صنت عنها حرّ وجهي ... فتصدّت لثيابي
كلما أفلتّ من نابٍ ... تلقتني بناب
فلها خمش الافاعي ... ولها لسع الذباب
وأذاها في سكوني ... كأذاها في اضطرابي

وتأخذ قصيدته « الحكاية الأزلية » فاذا امامك سلسلة من الصور العميقة الاحساس ، البارعة الخيال ، لثمانية اشخاص يمثلون بني الحياة — او قسماً كبيراً من بني الحياة — ، وكل صورة تتألف من مجموعة من الصور الشعرية الزاهية ، في عتاب الجارية لربّها :

إن أخطأ الخزاف في جبله ... الطين ، فأي الذنب للآنية !

وفي قول الفتى الشاكي :

عبء على نفسي هذا الصبا ... الجائش المستوفز الطامي
يزرع حولي زهرات المنى ... وشوكها في قلبي الدامي

وفي قول الحسناء :

وجهي سنيّ مشرق ، انما ... مرعى عيون الخلق هذا السني
حظي منه حظّ ورد الربى ... من عطره الفوّاح ، والسوسن
ومثل حظ السرو من فيئه ... والطير من تغريدها المتقن

وقول الصعلوك الذي أقبل . . .

يصرخ : يا رباه ! حتى متى ... تحكّم الموسر في نفسي
وتضع التاج على رأسه ... وتضع الشوك على رأسي ؟

وفي شكوى الغني من عبوديته لثروته :

فاستعبدتني في زمان الصبى ... وأوقرت بالهم شيخوختي
قد ملكتني قبلما حزتها ... وملكتني وهي في حوزتي
كنحلة أمسكها شهدها ... من الجناحين فلم تلفت
كم في عباب البحر من سابح ... قد مات ظمآن الى قطرة

وفي قول الأبله في دعابه لربّه لانه خلقه بلا عقل بين دنيا من ذوي العقول :

أم أنت كالحقل : على رغمه ... ينمو مع الحنطة فيه الزوان؟!

في هذه كلها وفي سواها مما لم نورده ههنا ، رسوم فنية رائعة ، تدهش القارىء بعمق احساسها ، وخصب خيالها ، وابداع تصويرها وتحليلها . ولعل من المناسب ان نعرض ههنا صورة كاملة لاحدى شخصيات هذه القصيدة الطويلة : « الحكاية الازلية » ، لتظهر لنا براعة ابي ماضي التصويرية . وهذه الصورة هي في شكوى الشيخ من قسمته حينما جاء دوره بعد الشاب للكلام بين يدي العزة الالهية :

وجاء شيخ حائر واجف ... مشتعل اللمة ، بالي الاهاب
كأنما زلزلة تحته ... لما به من رعشة واضطراب

فصاح : يا رباه خذ حكمتي ... واردد على عبدك عصر الشباب
انّ أماني الروح أزهارها ... وإن روحي اليوم قفر يباب
لا جدول ، لا بلبل منشد ... بلى ! بها الوحشة والاكتئاب
تلك الأمانيّ ، على كذبها ، ... لم تكن اللذة فيها كذاب
زالت ، وما زلت ، وان الشقا ... أن تطمس الآي ويبقى الكتاب
وتُسكب السرحة أوراقها ... ولم تزل أعراقها في التراب
قيل لها : في البحر كل المنى ... فلم تجد في البحر الا الضباب
كنت غنياً في زمان الصبى ... وكنت صفر الكف صفر الوطاب
صحوت من جهلي فألفيتني ... كأنني سفينة في العباب
نأت عن الشطّ ولم تقترب ... شبراً من السر الذي في الحجاب
ولو ترجّي أوبةً لاشتفت ... لكنما عزّ عليها الاياب
لم تقف الايام عن سيرها ... فإنما تركض مثل السحاب
وضع أمامي ، لا ورائي ، المنى ... وطوّل الدرب ، وزد في الصعاب
ما لذتي بالماء أروى به ... بل لذتي في العدو خلف السراب

فمثل هذه الصور الغنية بالشعور والعاطفة والفن ، تدل على عبقرية خلّاقة مبدعة . وهي تحتاج قبل كل شيء الى امتداد في الخيال ، وخصب في التفكير ، وعمق في الشعور ، وانفساح في في العاطفة ، لتتسنى للشعر هذه الحيوية الدافعة في الصور ، وهذا الغنى الوافر في الجمال الفني .

ولا بدّ لنا ، ونحن ما نزال في المهجر الشمالي من التعريج على نسيب عريضة ، لنرى شيئاً من نتاج عبقريته الفنية في الوصف التصويري في شعره . ولعل أقرب دليل على غناه الفني ، وحيوية صوره القسم التالي من قصيدته « النعامى » ، وفيه تصوير يكاد يكون ناطقاً لجماله :

رأيت قدّ الجمال ... على المروج تمدَّد
يبغي نعيم الوصال ... من نور شمس توقد
جسم الجمال تعرّى ... على بساط الربيع
وليس بالعري أحرى ... من قد حلم بديع
الارض تفتر شوقاً ... الى اللقا والعناق
يسوقها الحب سوقا ... كفارس في السباق
مدّ الشعاع اليها ... منه أكف الحبيب
ونال من شفتيها ... قبلات ريّ وطيب
واستغرقا في حبور ... على سرير الفضاء
فتى هناء ونور ... يضم بنت الشقاء

ففي هذه القطعة حيوية دافقة في الوصف ، ورقة تبعث على الفتنة العذوبة المطربة . وللنسيب كثير مثلها في ديوانه الكبير ، الغني بالشاعرية المتفوقة .

وكذلك لا بد لنا من الاشارة الى ما في ادب غير هؤلاء من ابناء المهجر الشمالي من الصور الحيّة ، مما لا يتسع المجال لذكره . فنذكر بنوع خاص قصيدة « المهاجر » لرشيد ايوب ، و« أمي »

لأمين مشرق ، وعدداً كبيراً من قصائد الريحاني المنشورة في ريحانياته ، و« المهاجر » لمسعود سماحة ، و« الحب » لندره حداد ، وقد وصف ندره حداد « الحب » في قصيدتين رائعتين في ديوان « اوراق الخريف » .

اما في المهجر الجنوبي ، فقد نبغ نفر كريم من الشعراء الذين أجادوا في رسم الصور الشعرية البارعة ، التي تصدر عن طبع اصيل في الفن والشاعرية . ومن هؤلاء : الشاعر القروي رشيد سليم الخوري . وقصيدته «اقحوانة ابرنكا » مثلاً ، فيها رسوم وتصاوير غنية بالصدق والاحساس ، كقوله يخاطب الزنبقة :

زنبقة الوادي ! عليك السلام ... يا آية اللطف وروح العفاف
أين مضى ذيالك الابتسام ... وما لهذا الثغر يشكو الجفاف؟
هل نقض الزنبق عهد الغرام ... أم أجّل النرجس يوم الزفاف؟

او قوله في مخاطبة زهرة « لا تنسني »

ما لكِ يا زهرة « لا تنسني » ... هل نسي المحبوب عهد الوداد؟
قد يذكر الناسي ، فلا تحزنى ... فالعهد بالزهر رقيق الفؤاد
يكسر قلبي رأسك المنحني ... دون وساد ، ليت رأسي وساد؟

ومثلها قصيدته « الربيع الاخير » التي تشبه متحفاً فخماً يعج بالحوادث الفنية . ومن هذه اللوحات نقتطف عدداً قليلاً جداً يكفي لاعطاء فكرة عن خصب خيال القروي وجمال رسومه ، فاليك الابيات التالية :

عيب علينا نكون البلبلين ولا ... نشارك الطير في أعيادها سحَرا
اما ترين الدجى لُمّت غدائره ... سوداً فنمّرها رأد الضحى شقرا
وقد فشا بين أضلاع النوافذ من ... عطر الخمائل سر حرك السررا
والغاب ألف جوقاً من عشيرته : ... الريح والنهر والاطيار والشجرا
والارض حارت أتلقى الفجر ضاحكة ... لأمها الشمس ، ام تبكي ابنها القمرا
والليل فر فرار العبد حين رأى ... مستودع النور في آفاقها انفجرا
والريح تنفخ نايات الغصون على ... سمع العقيق ، فيجري دمعه غدرا
والنهر ساح كأن البحر مدّ يداً ... بين المزارع تهدي الماء والدررا
طوراً له زأرة الدرزي ثار على ... جلاده والى استقلاله نفرا
وتارة يملأ الوادي تنهده ... كأن لبنان في أغلاله زفرا
وللسحاب ثنيات مجعدة ... بيض ، كأن عجوزاً جعدت شعرا
كأنما التل أم النهر مبترداً ... ثم استحى من عيون الفجر فاتزرا

والقصيدة طويلة تقع في مئة وثلاثة ابيات ، كلها من هذا الطراز الشعري التصويري الذي يترقرق فيه الجمال والحس في صور متلاحقة بديعة الانسجام . ثم لا يفوتني ان اشير ايضاً بنوع خاص الى احدى قصائد الحنين لدى الشاعر القروي — وما اكثرها وما

ألطف حنينها وأرقه — وهي « وقفة على الشاطىء » ، فهي لوحة رسّام ماهر ، يرسم بدم القلب ، كما هي اغنية فنّان موهوب ، ينشد بنجيع الروح ، وفي اغلب شعر القروي كثير من الصور الروائع وليس شك في ان للتصوير الصادق الجميل اثراً كبيراً في طول بقاء الشعر ، وفي عمق تأثيره في النفوس .

ولقد عرف المهجر الجنوبي شاعراً شاباً — طار عند الارض قبل اوانه — ، كان شعره غنياً بالوصف والتصوير ، او هو يعتمد على الوصف التصويري كدعامة كبرى للشعر الجيد ، لا تنفصل عنه ، ولا يجود بدونها . ورسومه الشعرية تعتمد على الصدق في الاحساس وفي التفكير ، كما تعتمد على موهبة كبيرة من الخيال المتفجر لما فيها من حيوية متدفقة ، وتصوير جميل . ونحن نقتطف منها الابيات التالية في وصف الطيارة ، وهو وصف لم يسبق اليه صاحبه ، تظهر فيه البراعة الفنّية ، والخيال الجموح :

صعّد الطرف في الأثير تجدني ... قاطعاً في الاثير ميلاً فميلا
خبباً تارة ، وطوراً وئيدا ... صعداً مرة ، واخرى نزولا
فوق طيارة على صهوات الريح ... راحت تروّض المستحيلا
هي طير من الجماد ، كأن الجن ... في صدرها تحث خيولا
حمحمت فضرب الرياح بنعليها ... وشقت الى السماء سبيلا
ثم مدت الى النجوم جناحين ... وجرّت على السحاب ذيولا
غرقت في الاصيل حيناً وعامت ... بعد حين تعلو قليلاً قليلا
ترتدي من دخانها بردة الليل ... وتلقي عن منكبيها الأصيلا
وعليها من الشرار نجوم ... عقدت حول رأسها اكاليلا

وكذلك نختار شيئاً من قصيدته التالية بعنوان « بائعة الهوى » ففيها براعة تصويرية فائقة :

غانية من بائعات الهوى ... في بردتيها كل غصن جميل
كان عليها حسنها في الصبى ... ويلًا ، فضلت عن سواء السبيل
مالت وقالت : انت يا شاعري ... صفني ، وقل هل لقوامي مثيل
أليس غصناً ؟ قلت لم تخطىء ... لكنه لكل ريح يميل !
قالت : وعيني ، انها نجمة ... رجراجة في ظل جفني الكحيل
قلت : جماد كنجوم الدجى ... عينك ، لا رحمة فيها تسيل
قالت : وشعري فاحم كالدجى ... يغفو به الصب بليل بليل
فقلت : لم يسودّ لو لم يقع ... عليه من روحك ظل ظليل
قالت : وقلبي ، انه طائر ... في نبضه شدو وفيه عويل
فقلت : حقاً وانه طائرٌ ... فهو على كل السواقي نزيل
قالت : وخدّي انه وردة ... ما خلقت كغيرها للذبول
قلت : هو الوردة لكنها ... مشاعة لكل باع طويل
قالت : وجسمي فهو ذوب الندى ... قلتُ : لو العفة فيه تجول
كان نقياً كالندى ، انما ... القت به الشهوة بين الوحول .

والذي يقرأ هاتين القطعتين – وهما ليستا سوى نموذج صغير جداً لشعر فوزي المعلوف – يستطيع ان يتبين أي جمال وصفي كان يترقرق زاهياً في شعر هذا الشاب، او هذا الحسون الذي طار عن الارض وحنجرة له ملأى بالاغاريد، ولكنه بما سكبه من اغاريده – على قلتها – ترك له في دنيا الضاد تلاميذ ومعجبين، ومدرسة شعرية خاصة، تقوم على الصورة والنغم والانسجام، لايصال الفكرة والاحساس، الى قلب القارىء وحسه.

وكذلك وفق اخوه شفيق، صاحب «عبقر» في خلق عدد كبير من اللوحات الروائع في شعره، نقطف احداهما من «عبقره» الرائعة، وعنوانها «نشيد البغايا»، فقد اجاد كثيراً في اتقان رسومها الشعرية. وفيها يقول على لسان البغايا الثائرات في الجحيم:

نحن الفراشات بنات الصباح	ان صعّد الصباح أنفاسه
نراه قد مد لنا كاسه	فنمتطي اليه متن الرياح
تقنع من كاس الضحى بالرشاش	فان نشقنا عبقاً طيباً
نهوي من الاوج ونغشى الربى	نرش بالقطر الزهور العطاش.
أزمنة اللهو انقضى نصفها	وصدرنا وسادة للجباه
فان دنت من الشفاه الشفاه	نهزها هزاً ونشتفها
كشارب الخمرة يدنيها	منه، فكم تزيد من لذته
خضخضته الكاسات في قبضته	من قبل ان يمتص ما فيها
كان لنا شعاع احداقنا	فأقبل الليل وأطفاه
والجسد البض تركناه	تدوسه اقدام عشاقنا
مذ خلع الله علينا المقل	زودنا بنظرة ضائعه
وشهوة ملحة جائعة	وبشرة هفهافة للقبل
فمن لنا بطاعة الله	وهو الذي في وسط العاصفة
زجّ بنا بالاضلع الراجفة	والجسد المستسلم الواهي ؟
ثرنا عليه حينما سامنا	عسفاً، فلم نصبر على عسفه
قد حشد اللذات قدامنا	وجيّش العذاب من خلفه

و«عبقر» شفيق المعلوف هذه، هي ايضاً مجموعة رسوم فنية، غنية بالاحساس والجمال، كما هي غنية بالرقة والموسيقى. ولا يفوتني ان اذكر ان لشفيق المعلوف اروع مطلع من مطالع الرثاء رأيته في حياتي، وهو مطلع احدى مراثيه لأخيه فوزي، وهو:

أهويت ابحث عنه في التراب	تاج تدحرج عن جبين أبي

وأترك للقارىء ان يرسم في قرارة نفسه وأعماق قلبه هذه الصورة المؤثرة الرائعة، فهي تنطق بأبلغ معاني اللوعة المحرقة، والفراغ الموحش في النفس الملتاعة.

ولقد كان بودي ان اكثر من تقديم الامثلة من هذا الادب الوصفي الجميل، الذي يتعانق فيه الخيال والحس، والجمال والصدق، كما يتعانق النور والصفاء في قطرة الندى على كمّ الوردة النائمة. غير انني اشعر بأنني قد اطلت كثيراً، لذلك ارى ان اختم هذا الفصل بتقديم شيء من قصيدة «الراهبة» لالياس فرحات، فهي من اجمل اللوحات الشعرية وألطفها حساً وذوقاً. يبدأها الشاعر بوصف الراهبة فيقول:

أطلت من الدير عند الضحى	وفي ناظريها بريق الأسى
فتاة كأن الاله براها	ليجعلها فتنة للنهى
ولكنها في صباح الحياة	عرا وجنتيها شحوب المساء
رماها الزمان بهجر الحبيب	فداوت ضلال الهوى بالهوى
تصلّي فتحسبها دمية	من العاج ساجدة للدمى
وتلثم تلك الدمى بخشوع	فيوشكن يلثمنها من جوى

ثم يذكر الشاعر انها خرجت ذات صباح تجمع باقة من الزهر لتزين بها الهيكل، فرأت زهرة نامية في اعالي الجدار، فأعجبها شكلها، وازدادت قيمتها لديها عندما رأت انها «تعزّ على من يروم الجنى»، فجعلت تخاطبها بقولها:

أخيّة! يجنيك هذا السمو	وهذا البهاء وهذا الرضى
ولكن اما كان أشهى لديك	جوار الأزاهر بين الربى ؟
تحوم عليك بنات القفير	وتسعى اليك صبايا القرى
لأنت تعيشين في عزلة	فلا في السماء ولا في الثرى
لمن خلق الله هذ الجمال	ومن يتنشق هذا الشذى ؟

فهي – كما ترى – قصيدة من عيون الشعر الوصفي، فلو لم يكن لصاحبها غيرها، لكانت كافية لتدل على شاعرية موهوبة خلاّقة.

وانت في الواقع تقع في اشد الحيرة حين تحاول ان تختار اجمل الصور الشعرية في الادب المهجري، فالجمال كثير، بحيث تفقد القدرة على المفاضلة، وكأنما انت في حديقة ملأى بأجمل الورود اليانعة، فأنت مضطر الى الاكتفاء باقرب ما يقع تحت يدك.

وكذلك فعلت أنا في اختيار القطع التي قدمتها بين يدي هذا البحث. ولست اشك في انه قد يكون هناك الكثير مما يفوقها جمالا ورقة وصدقاً، ولكنني أكتفي بها، لأنها تفي بالغرض.

ولعل القارىء قد لمس معي في اغلب هذه النماذج القليلة من الادب المهجري الوصفي – نثراً وشعراً – كثيراً من الحيوية والاحساس، وسعة الافق، بشكل لم يألفه الادب العربي في عصوره الماضية، وان كان لم يقصّر في الحيوية والاحساس في كثير من المواضيع التي طرقها الشعراء الاقدمون.

فهذا الغنى الدافق في الشعور وفي الخيال، هو من المميزات الهامة، والعناصر القوية، في ادب كبار المهجريين، الذين اشرنا اليهم في هذه الالمامة.

كلية ترسانتا – القدس   عيسى ابرهيم الناعوري

من المساء الاخير

صلاة الابن الضال

بقلم يوسف الشاروني



اللهم أعني وانا ارى حلمي في النزع الاخير، وقدس شفتي حتى لا تنطقان بالرجس في حضرتك المقدسة، واستمع يا الهي الى هذه الصرخات رغم كفري بك هذا الزمن الطويل ، فها انا أعود اليك خاشعاً متهللاً سائلاً . منذ اعماق الليل خرجت أبحث عن تربة بها اضع حبات تنوء بها نفسي ، وظللت أجوب الارض مع الليل ، متشرداً مع البرد والظلام ، وعند السحر كنت قد تعبت ، كان حملي ثقيلاً ، ثقيلاً الى ابعد حد ، ولم اكن جباراً الاحظي به بعد . وكنت في جوع الى النور والدفء والطمأنينة ، وفي لحظة تعب القيت ببذري في التراب ، دفنته آملا ان يرى النور مع الفجر او الضحى ، كنت متفائلا ، وفي تفاؤلي لم اكن اعلم انني قد دفنته الى الابد .

فلقد مر الفجر، ومر الضحى ، ومرت الظهيرة ، ومر باقي النهار في سرعة عجيبة قتلت فيها الزمان ، ومـا شقت بذراتي سبيلها الى فجر ما ، فعلمت ان السحر كان كاذباً، وسرعان ما وجدت نفسي مرة اخرى أعود الى تلافيف الظلمة . وفي سذاجة حسبت انني استطيع ان استرد بذوري كي أطمرها هنا في نفسي ، حيث اطمئن عليها وحيث احس خصوبة هائلة ما عرفتها من قبل .

لكن بذوري كانت قد تعفنت مع الارض العفنة ، لم يكن من الممكن ان استرد مـا فقدت . وسمعت من الارض ضحكات جوفاء تنبعث ساخرة مني ، اما أنا فعلمت انني قد حكمت على نفسي بلعنة ابدية : ان يظل جزء مني خارجـا عني متعفناً مع الارض العفنة . كل ما أستطيعه اليوم هو الا أضع حبات آخرى في التراب رغم ما تنوء به نفسي . إلهي اجعلني جبارا حتى أستطيع ان احمل في غير ملل ذلك الحمل الثقيل .

وها انا ذا اعود مرة اخرى أجوب الارض مع الليـالي ، متشرداً مع البرد والظلام . إلهي كن معي كلما درت مع الظلام دورته ووقفته بقبر جنيني المسكين الذي حولته الارض الجدباء الى ديدان وعظام نخرة، وكان يمكن ان يكون خفقة حية رائعة . اللهم امسح دموعي اذ ذاك .

اللهم اجعلني استقر قليلاً، فكل من يجول الارض مع الليل لن يرى الفجر ابداً. هؤلاء الذين ينتظرون في امـاكنهم هم وحدهم يمر بهم الفجر ولو ساعة واحدة من الزمان .

اللهم اجعلني اهلا لهذه اللعنة الابدية التي لعنتنيها : ان ابحث عن ظلي منذ زمن طويل حتى أتبينه ، ولا اكاد اتتبعه حتى يضيع مني بين زحام التفاهات وتكالب السخافات .

اللهم اجعلني شجاعاً وانا اقتل هذا الواقع ، لا تجعل قلبي يرتجف ، كن عوناً ليدي ، وليمت صدى هذه الحشرات المزعجة من أذني ، بل فليمت كل شيء الا النسيان . فاذا ارتكبت جريمتي ، فـاجعلني اللهم شجاعاً مرة اخرى حتى لا اندم فأعود أبكي من جديد .

اللهم استمع الى شكواي : فقد جحدتك وجحدت غناك ، وسافرت الى كورة بعيدة حيث جمعت أبذر مالي بعيش مسرف حتى انفقت فيها كل ثروتي، وكان في الكورة جوع مخيف حتى اشتهيت أن امـلأ بطني من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله ، فلم يعطني احد . اذ ذاك رجعت الى نفسي وقلت كم من اجير في منزلي يفضل عنه الخبز وانا اهلك هنا جوعاً؟ « اقوم واذهب الى ابي واقول له يا ابي اخطأت الى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد ان ادعى لك ابناً » .

والآن يا اماه ، لماذا لا ازال اسمعك تبكين من اجلي في جوف الليل كي اجد الله ؟ ان صلواتك قد زلزلت عرش السماء،

ان دموعك قد اذابت قلب الله حنانا ، فأشفق عليك وعليَّ ، لقد وجدته اخيراً يا اماه ، ليس بعيداً كما تتصورين ، ولا غريبا عنا هكذا كما تتوهمين ، بل هو هنا في نفوسنا ، نعم ففي اعماق نفوسنا البشرية الواهنة رضي ان يسكن يا اماه . انا العابد والمعبد والمعبود يا اماه . وكل ما نعبد خارج ذواتنا ان هو الا اوثان غريبة عنا كالبعليم والعشتاروت . وكل معبد نصلي فيه خارج ذواتنا ان هي الا معابد للغواية الروحية يولد فيها اطفال مشوهون . وكل عابد - غير انفسنا - نستمع اليه ان هو الا خاطىء ضل سبيل الاله ، فلن تصل الينا شكواه ، ولن نفهم منه مناه . انا العابد والمعبد والمعبود يا اماه . جففي دمعك اذن ، وانقطعي عن هذا البكاء ، ثم ابدإي نشيداً فرحا متهللا ، فقد عاد ابنك الضال الى ملكوت السماوات . هيا اذبحي له العجل المسمن ولا تعودي تجاسين بين الرماد والمسوح . لقد اطفأ البكاء عينيك ، واذات الصلوات نفسك . قومي ، قومي يا اماه ، ان ابنك قد عاد ، ولتغفري له هذه الخطيئة التي اقترفها ، فلن يعود اليها ابداً من جديد .

ضعي يديك في يديَّ ، فليس لي غيرك يا اماه ، ولنيمم وجهينا شطر السماء .

ضعي يديك في في يدي ، ولنسر في صمت رائع يا اماه ، يقودنا الاله الذي فينا نحو العلاء .

ضعي يديك في يدي ، ثم احضنيني في عنف يا اماه ، لكن لا تأملي ان اعود طفلا من جديد .

ضعي يديك في يدي ، كما هما ملطختان بالاوحال يا اماه ، رغم ما بيديك من الطهر والنقاء .

ضعي يديك في يدي ، فان حبك وحده يا اماه هو الذي يرضى به سواء أكنت طفلا ام رجلا طاهراً أم ملوثا .

ضعي يديك في يدى ، ولنسر في صمت رائع يا اماه ، يقودنا الاله الذي فينا نحو العلاء .

ضعي يديك في يدي ، فأنت ، أنت رائعة يا اماه ، ولنيمم وجهينا شطر السماء .

والآن اسألك يا الهي ان تغفر لي خطيئتي ، وتقبلني كما انا ، ملوثاً بماضيَّ الذي اصبح جزءاً مني ، بقلبي الذي اصبح فيه ركن للشيطان ، بدموعي ، بضعفاتي . فأنا اعلم ان محيط محبتك يستطيع ان يذيب كل هذه الرواسب الطينية .

وأسألك ان تعينني حتى لا اعود اعبد الوثن من جديد ، فلا اسجد الا لجلالك الالهي ، وانسى الى الابد امر هذه المقبرة التي سيتعفن فيها حلمي الجميل ، فلشد ما اخشى ان اجعل من نضيها الها اعبده ، ومن بنائها قبلة أيمم وجهي شطرها كلما انتابني الضعف ، واخشى ان احج اليها في كل عيد .

واسألك يا الهي ان تغفر لمن غوتني عنك فأنت تعلم انها ما قصدت ذلك ، أعنها في ضعفها حتى تعثر على الاله الذي فيها كما عثرت انا عليك . ثم اغفر لي ازعاجها ، فما قصدت هذا يوما يا الهي ، وانت تعلم انني ارق من ان ازعج احدا سواك .

واكلأني اللهم بعين رعايتك وانا اعود من جديد وحيدا الى صحرائي ، كن عوني يا الهي ، وأنا أموت عن ماضيَّ ، ثم انتشر على مستقبلي المجهول ، كن أنت فيه النور حتى لا أعود اشرد من جديد . اغلق في هدوء جفني حلمي الذي قتله الواقع ، ثم قبله قبله اخيرة عميقة طالما تاق اليها وهو حيٌّ يحاول ان يحبو فما نالها ، ذلك لانني ما حدثته عنك يا الهي . قبلّه الآن ، ثم اطفىء قليلًا قليلا هذا النور الرخامي الذي يشع منه لأنني اخشاه ، اخشاه ان يغمرني فأنساك واصبح بحراً من دموع .

ثم اجعله ينام نومته الاخيرة هادئا ناعماً ، واحرسه وهو يتعفن ، ثم كن معه حتى يتحول الى تراب ، ولتكن اكفانه النسيان . وعندما يفغر العدم فاه ستبتلعه وتبتلعنا هواته يا الهي .

انني اسمع في الخارج - حيث يرقد الرفاة الدافىء لحلمي الرقيق - صوت هطول المطر ، وزفيف الريح ، ودوي الرعد ، كن معه يا الهي واعنه كي يفنى سريعاً ، سريعا مع العاصفة الى الأبد .

وثمة طلبة ارتجيها منك في الحاح ، ذلك ألا تجعل حبي ينقلب كرها ، فأنني لأخشى ان ينقلب الى بغضاء قاتلة مريرة . رباه لم ترض هذا .

ثم اضرع اليك من أجل امي ، ذلك الانسان المجهول في قصتنا ، فهو الذي زلزل عرشك واذاب قلبك حنانا . كن معها حين تصلي من اجل ابنائها الآخرين حتى يجدوا معناك أيضاً كما وجدتك انا . اعنها حين تبكي ، امنحها القوة كي تستطيع ان تمضي في رسالتها المقدسة الرائعة : ان تبكي طوال الليل فتعوّم سريرها حتى تزلزل عرش السماوات من اجل ان يجد الناس الههم . ما اعمقها من رسالة لهذا كرّست حياتها ، ولهذا وجدتك يا الهي .

واخيرا ، وقد سألتك من اجل نفسي ومن اجلها ومن اجل حلمي الهامد ومن اجل امي ، اسألك من أجل العالم كله ان يعثر على الهه الذي فيه ولا يعود يشرد الى بعيد .

القاهرة يوسف الشاروني

عشية الوادي

☆

لرياض معلوف

ألقيت في الحفلة التي أقامتها
الجالية العربية في سان باولو البرازيل

☆



في رثاء امين الريحاني

أمذكري تلكَ العشية   يوم . في واديك كنـا
والشمس تنشر فوقه   ألوانهـا لونـاً فلونا
والفجر يعكسها على   الأوداء اشعاعـاً وحسنا
فكأنهـا أنشودة   معزوفة لحناً فلحنا ...
يا بلبل الوادي الصريع   وأنت أطرب مـن تغنى
خفنا على ريش الجناح من النشار وكم وجفنا
حتى صُرعتَ وكنت معتلياً من الأغصان غصنا ..
يا وحشة الوادي عليك ولم يعد للانس مغنى
حتى الغمائم فوقه   سود على الأكمات حزنا
والكتب من خلل   الزجاج محيرات ينتظرنا
نعم الكتاب تخذته   في معزل إلفاً وخدنا
حدثته فتهامست   صفحاته وأعرنَ أذنا
فخلقتَ من تلك الصحائف دون هذا الكون كونا ..

***

تلك الأنامل يا أمين وما نثرنَ وما نظمنا
يفنى الزمان وما كتبن   من البدائع ليس يفنى
تحف روائع كالقصور   منمقات الجدر فنّا
يرنو اليها معجبين   بصنعها معنى ومبنى
أعمى المعرة لو وعى   ماذا نقلت لقرّ عينا
قطع أحب الى الضرير من العيون اذا تمنى ...

***

أأبا العقيدة والزمان   على العقيدة كم تجنى
والحر يأنف ان يغضّ على الاذى والظلم جفنا
اني حسدتك ان تموت ولا ترى الانسان جنا
لما يعد للناس آمال ولا وطن وسكنى ..

***

امخبري سير الملوك   وانت عنهم زدت شأنا
والواصف الصحراء بالوصف البديع كما قرأنا
يوم اندفعت ميمما   بلد الرشيد وزرت عدنا
فمن الحسين الى السعود كلاهما اهدى واثنى
تلك العراب من السيوف لهن للعربي معنى
جردن في يوم القضية   للدفاع بنا وعنا
علم الكرامة يا امين بغير زندك ما رفعنا
لولاك مع بعض الرفاق لدى الأعاجم ما ذكرنا
لبنان يفخر ان تكون له اخاً وتكون ابنا
اما تعد نوابغ الدنيا فأنت تعدّ منا ..



وداع حب

بقلم امين يوسف غراب



الضباب لا يزال مكتنفا القرية ، حاجبا عيونها باسجافه الداكنة ، حينما تسلل منها حاملا على ظهره سفطه المليء بالبلح ، لينظفه ويغسله في النهر حتى اذا ما قدمه الى زبائنه في المدينة ، قدمه نظيفاً غير ملوث .

وكان يسير على عادته فرحاً مبتهجاً بمولد الشمس التي اعتاد ان يحتفل بمولدها كل صباح وهو ينظف بضاعته في النهر ، غير انه قبل ان يبلغ الشاطىء توقف عن السير ، وحول نظره ناحية الشمال فتراءت له مزرعة القصب المتاخمة للشاطىء ، واستطاع ان يتبين – الخص – الصغير المقام على رأسها كالنصب التذكاري ، ولاح له من بعيد وسط الضباب الكثيف المتراكم كنقطة ضالة في تيه غير محدود ، ولكنه مع ذلك نظر اليه ، وامعن فيه حتى خيل اليه انه يراه ويراه واضحاً جليا ، وان نظراته قد لفت جوانبهُ لفا واستقرت عليه ، ثم هي تتسلل خلسة الى داخله ، وتروح تبحث وتتحسس حتى تقع على ذلك الجسد الرخص المتمدد على حصير خشن من القش ، فتقف عليه حيناً وكأنها تباركه وتحفظه بالرقى والتعاويذ . ولما تزودت نظراته بالنشوة التي تفيض على قلبه وتغمره . راح يجمع خيوط نظراته ويشدها في رفق من على الجسد الغافي ، ثم من على اعراش القصب التي بنى منها الخص ، ومن ثم عاود سيره نحو الشاطىء مسروراً مردداً اغانيه الريفية الجميلة التي اشتهر بها في القرية ، والتي كانت سببا في رواج بضاعته في المدينة .

وما ان بلغ « الموردة » حتى كان قد شمر عن ساعديه ، وجمع اطراف ثوبه البالي الممزق ، وحزمها في حصره ، ثم اندفع الى الماء ، دافعا امامه سفطه الثقيل الذي راح يعمل فيه بيديه ، وهو اقوى ما يكون نشاطا ، واحلى ما يكون سعادة خالصة لا ينقصها الا وجود الحبيب الذي راح يتساءل عنه بصوته العذب الحنون .

صبح الصباح يا جميل وانا على الموردة بدري
كل البدورة بتورد وخلي لم ورد بدري

غير انه لم يكد يبدأ اعادة الأغنية حتى سمع صوتا رقيقاً خفيفاً كأنه النسيم او كأنه حفيف الزهر ، ينبعث فجأة من خلفه فانتشى له كيانه ، واهتز له السفط الذي بين يديه وراح يتراقص هو الآخر على الماء .

– صباح الخير يا برعي .

☆

– صباح الخير يا عيشة .

– يسعد صباحك يا عينيّه

ومدّ يده مسرعا وتناول الجرة من على رأسها وهو يقول مغتبطاً .

– لماذا استيقظت مبكرة هذا الصباح ..؟

فقالت وهي تتناول اطراف ثوبها الاسود الفضفاض وتدسها في تكتها فبدا سراويلها الاحمر الناقع الذي تدلت اطرافه ذات الكرانيش المنتفخة المشششة تداعب ذلك الخلخال الفضي اللامع الذي نام مستسلما بين الساق والقدم .

– استيقظت على غنائك الجميل .

فجئت اصبحك واساعدك في غسل البلح .

ثم اندفعت اليه في الماء . واخذا يعملان معاً في تنظيف البلح وهما يلعبان ويضحكان حينا . ويتذاكران احيانا ايامها الماضية . وفضل هذه الموردة التي جمعت بينهما . فقد كانت تأتي اليها كل صباح لتملأ الجرة . وكان يأتي اليها مبكرا ليغسل البلح . وكانت تطرب لغنائه كما كان يطرب لطلعتها . وظلا كذلك اياما كان الحب يرقبها فيها عن كثب ويتتبعها في شتى المراحل التي قطعاها على الموردة او في الطريق الى القرية . ولما اطمأن الى نقاء سريرته وطهارة قلبها ووجدهما جديرين بالزهرة المقدسة . تقدم منهما خلسة : وغرس في قلبيهما زهرته الطاهرة ، التي اخذت هي على عاتقها تغذيتها واخذ هو على عاتقه سقياها الى ان نمت وطاب قطافها فاتفقا على الزواج . بيد انهما انتظرا حتى تذلل تلك العقبة الكأداء التي اعترضت سبيلها وهي الحصول على الجنيهين الباقيين من قيمة الصداق الذي اتفقا ان يكون كبيرا ضخماً لكي ترضى به الام العجوز المتهالكة على الدنيا والتي رغم اشرافها على الثمانين ابت الا ان تظل حارسة لمزرعة القصب التي استأجرها حديثاً ذلك الجزار المثري السمج الذي اتاحت له ظروف الحرب ان يكون من كبار الاثرياء في القرية . والذي بهره جمال عائشة وفتنتها وسحر وجهها المشرق البسام . فراح يتودد اليها

محاولا اغراءها بشتى العروض وشراء قلبها ولو بكل المال الذي يملكه . ولكنها اعرضت عنه واحتقرته . . وافهمته بلغة الصمت البليغ ان قلب المرأة ، غير قلب البقرة التي يشتريها بالمال ويعرض لحمها على الناس في السوق . ثم تركته وانصرفت الى برعي الذي كاد الدم يتفجر من قدميه من كثرة تجواله طوال النهار واغلب الليل في ازقة المدينة ودروبها الشبيهة بشقوق الثعابين ينادي على بضاعته ليجمع من ربحها صداق عائشة . كما كادت عيدان الحطب تأتي على اطارفها وتأكل ثوبها الذي لا تملك غيره وهي تجني من بينها القطن للناس باجر قليل تعطي امها العجوز اكثره . وتختلس هي اقله وهو الذي يمكنها اختلاسه وتقدمه لبرعي وبذلك تساهم معه بنصيب في جمع هذا الصداق الذي اتفقا على ان يكون كما قالت الام ذات مرة . خمسة جنيهات لا تقل قرشا واحدا .

جالت برأسها كل هذه الافكار والخواطر . وهما في الماء ينظفان البلح وينظران الى بعضهما نظرات فيها الكثير جدا من الحب والحنان . وفيها الكثير ايضاً من الغزل الساذج البريء الذي كانت تعبر عنه عائشة بعينيها السوداوين الواسعتين ولما تجده قد فهم تعود فترد عنه الطرف ضاحكة . فتتقد جذوة الحب في قلبه وتستعر نارها . فتلمع عيناه وتهتاج عواطفه تلك العواطف التي يعرف القروي كيف يعبر عنها تعبيرا صادقا . لذلك انطلقت حنجرة برعي في الفضاء الممتد امامه . وراح يغني بصوته العذب الذي انتشى له الطير في السماء . وسكرت به صفحة اليم وترنحت امواجه وغدت تمر عليها مخمورة متمهلة لتسمع الى برعي وهو يردد .

بلدي ابو صير والتل الكبير وبنه
والورد عشش على خد الجميل وبنا
والبطن قشطه لفايف والعسل له قنا
انا قلت يا جميل دوقني العسل قال لي
خذ بنت عيشة تعرف ليالي الهنا

وكأنها فهمت انها المقصودة بهذا الغزل الجميل . وهذا الوصف الرائع فاستدارت خجلة منكسرة الجفن متوردة الخد مسترخية الاهداب . ثم انصرفت تحمل جرتها . وانصرف هو مبتهجاً في طريقه الى المدينة . يحمل على كتفه سفطه وينادي على بضاعته على « عيشه وبلح عيشه » التي ستمكنه من الحصول على عائشة نفسها .

وانقضى اليوم صافيا . كما طلع صبحه مشرقا بساما ولما اقبل المساء عادت عائشة من الحقل الذي كانت تعمل فيه فرحة مستبشرة كعادتها من يوم ان عرفت برعي واحبته . غير انها لما عادت في هذا المساء لم تجد امها في « الخص » ولا هي في مزرعة القصب . ولا هي ايضا على جسر القناة تسقي البقرة . ولما سألت عنها عرفت انها في القرية . وانها تنتظرها هناك عند خالها الشيخ عطا .

واستغربت عائشة لهذه الزيارة الغريبة التي دعت امها تذهب الى دار شقيقها رغم الجفوة التي بينهما والتي حرمت على الشقيقة العجوز . . ان تدخل بيت شقيقها من سنين . ولكنها مع ذلك راحت تنقل الخطى نقلًا الى القرية . وما ان اشرفت عليها وطالعتها دار خالها حتى رأتها مزدانة تغص ساحتها بجمع كبير من اهل القرية يتوسطهم الشيخ مروان العمدة . و المعلم خليل الجزار .

وما ان رأت ذلك حتى ارتدت خائفة مزعورة . فقد ساورتها فكرة خبيثة كاد قلبها يهلع من مجرد التفكير فيها . . ولكن أيمكن هذا . . ايمكن ان يكون هذا الجمع الغفير الذي يتوسطه عمدة القرية انما اجتمع ليحتفل بتقديم الذبيحة الى الجزار . . . ايمكن ان تكون امي قد ارتكبت في حقي هذا الجرم ، وان خالي تراضى معها على حساب دنياي وحياتي وقلبي . .

وسمعت فجأة الزغاريد تتصاعد مدوية ورأت الناس يشدون على يد المعلم خليل الجزار مهنئين مباركين فارتاعت وهمت ان تغلق عينيها لتبعد عن خاطرها شبح هذه الرؤية . ولكن ابنة خالها سكينة كانت قد اسرعت اليها واحتضنتها في حنان وهي تقول .

— مبروك عليك العريس يا عيشة .

وجحظت عيناها وهي تحملق في محدثتها وتتمتم . — عريس من ؟

— عريسك انت .

— من هو . . ؟

— المعلم خليل — وضحكت سكينة ثم اردفت — على سن ورمح :

« دفع فيك خمسين جنيهاً مهراً . اكثر من مهر عزيزة بنت العمدة . » ثم تركتها سكينة وانطلقت تركض لتظفر بكوب من الشربات الذي يوزع على المدعوين .

وهوى رأس عائشة الذي الهبته الحمى ، على صدرها الخافق المضطرب ومن ثم عاودت سيرها نحو الخص وكأنها تعد قطرات الدموع المتساقطة من عينيها وتحسبها قطرة قطرة . ولما بلغته القت بنفسها في ركنه المظلم تبكي قلبها الذي دهمه الخطب ، وحطمته الفاجعة ، وازرت به ريح الاحزان العاصفة الهوجاء . فاصابتها شبه اغماءة اذهلتها عن كل شيء حتى عن امها التي كاد الفرح يتفجر ابتساماً من عينيها .

وفي الصباح لم تستيقظ لأنها لم تنم . وانما افاقت من ذهولها وتخلصت من ليلها الطويل القاسي وتناولت جرتها وغدت

تركض الى — الموردة — تنتظر برعي الذي ضايقها انه لم يسع اليها في الليل ليسألها خبر هذا الخطب وتسأله امر هذه النازلة . ولكنه لم يجيء ايضا في هذا الصباح لتراها ولا هو جاء حتى ليغسل البلح . . . ولكن اين هو . . ؟ اين ذهب واين انتهى به المطاف . . . . ترى هل غادر القرية بلا رجعة . . ام القى بنفسه في اليم . . . ام تراه قد فدحه الخطب ، وصرعه النبأ فطوح بجسده تحت عجلات (الوابور) السريع الذي يمر على القرية كالبرق . والذي حدثها مرات عنه وعن اعجابه بسرعته الخارقة . . . وانسكبت دموعها غزيرة على خدها المقرور الذي تجمد . وزاد انسكابها انها التقت في طريقها « برمانة » ابنة صاحب مزرعة النخيل التي يشتري منها برعي بضاعته كل يوم . واخبرتها ان برعي لم يأتي البارحة للمزرعة كعادته ، ولا اليوم ليأخذ بضاعته .

ورجعت محزونة الى الخص فوجدت امها وخالها الشيخ عطا وابنته سكينة في انتظارها .

وما هي الا دقائق حتى استاقوها الى بيت خالها في القرية لتخرج منه بالمزيكة الى بيت العريس .

ومرت ايام قضاها اهل القرية يعدون الساعات ويحسبون الدقائق انتظاراً لطلعة هذا العريس الذي سيفيض منه الخير على القرية وقضتها عائشة تبحث بالدموع وحسرات القلب عن حطام الحبيب الذي ابتلعه اليم او اكلته عجلات القطار .

واقبل المساء المشؤم الذي ازدانت فيه دار الشيخ عطا بالاعلام والثريات احتفالا بليلة « الجلوة » التي تسبق الزفاف . ولم يبق سوى سواد هذا الليل الذي تخضبت فيه عائشة وارتدت فيه الثوب الحريري الاحمر لتذهب في الغد الى بيت العريس او على حد تعبير عائشة لنفسها تذهب الشاة الى بيت الجزار . ولكن وقبل ان ينقضي هذا الليل الاسود الطويل شاء القدر ان يبرز برعي من ثنايا العدم . وان تلتفت عائشة فجأة فتراه مارا من امام الدار التي فتحت كل ابوابها في هذه الليلة . وما ان رأته حتى اشارت اليه مرتعدة . اشارة استطاع برعي رغم اللوثة التي اصابت عقله ان يفهمها . وما هي الا لحظات حتى كان ينتظرها على كومة من القش عالية كانت خلف الدار . وما هي الا لحظات ايضا حتى كانت الحبيبة قد غافل قلبها الرقباء ، وانطلق يعدو بها الى سطوح الدار لتتزود من الذي تحب في اللحظات القلائل الباقية من دنيا الهناء والحب .

ووقف برعي مشدوهاً ينظر الى حبيبة قلبه وهي في ثياب العرس الحمراء دون ان يعي شيئاً او يسمع حرفاً مما تقول له عائشة في الظلام . ولكن دمعة انحدرت من عين عائشة وكأنها كانت جذوة نار سقطت على وجه برعي فاحرقته . . هذه الدمعة هي التي اخرجته من صمته واعادته قليلا الى حياة الناس . وهي ايضا التي فجرت الدموع من عينيه . . وهي ايضا التي جعلته يقول وهو يبتسم من فرط ما يعاني من حسرة ولوعة .

— لقد استأجرني احد زبائني في المدينة لاجني له ثمار نخيله . نظير أجر فرحت به فرحا لااحسب ان الله كتبه لمخلوق . لانه كان القروش المكملة للجنيهين الباقيين من الصداق .

ثم وضع يده في قلب السفط الذي لا يفارقه واخرج منه صرة انعقدت على كمية من قروش وملاليم وقطع فضية صغيرة كانت في مجموعها تساوي الجنيهين وقال باكياً .

— عائشة هذا هو صداقك قد حصلت عليه .

فخلصت شفتيها من بعض الدموع التي وقفت عليها وهي تقول :

— ولكنهم باعوني لمن دفع الثمن مضاعفا .

— ولكني احبك يا عائشة .

— ولكن القدر ابى الا ان يطعن القلب بمدية جزار .

ثم اجهشت باكية ، وتناولت يده المرتعشة المقرورة وتمتمت .

— برعي انسني . . انس « عيشة » انس طلعة الشمس عند الموردة . . وغسيل البلح في الميه .

ثم تسللت في الظلام ، تصغي الى صوت قطرات الدموع التي كانت تنساب على ثوب العرس الاحمر الشبيه بجفونها المجروحة .

وفي عصر اليوم الثاني بينما كانت القرية تفخر بأعظم عرس عرفته ، وكانت الام تحتفل باسعد ايام حياتها ، وهي ترى — الموكب — تتقدمه « المزيكة » والطبول تدق دقات الفرح . والهودج يتهادى بالعروس في طريقه الى بيت العريس . كان يرى على ناصية زقاق ضيق من ازقة المدينة شبح منطو على نفسه ، ينظر الى سفط صغير امامه به حفنة من البلح الاسود الحامض ، قد تكدس عليها الذباب يدفعه بيد مرتعشة مهزولة ويتمتم مغنيا بصوت خفيض :

صلاة النبي على عيشه وبلح عيشه
يا ريت يوم الوداع لم كان يا عيشه

القاهرة — امين يوسف غراب

التأليف الكبير

ترجمه عن الايطالية : مصطفى آل عيال
ايسانسيه في الآداب

☆

الفصل الثاني : الحدس

لا تهملكم هذه الكلمة الغامضة المعنى : الحدس ولنبدأ بعدم انكارها وهي تظهر لكم واضحة . فالفكرة الكبرى التي اثبتها العلم ، وان يكن بشكل ناقص وباستنتاجات خاطئة التطور ما هي بخرافة او وهم . التطور يدفع بجهازكم العصبي نحو احساس ارق وألطف . هذا الاحساس يتقدم الحدس ويمهد السبيل لمجيئه . وهكذا فالمبدأ الروحي للحياة الكامن في الاعماق سيبرز ويظهر فيكم بحسب سنة طبيعية للتطور وبحسب نضج قدري يأتيكم عاجلاً . اتركوا جانباً لعادات الحياة العملية ما نسميه مبدأ الحياة الخارجية السطحية الذي هو ممثل في العقل لانكم لن تستطيعوا تفهم الحقيقة الصادقة التي هي في جوهر الاشياء كلها الا بالمبدأ الروحي للحياة الداخلية الباطنية . وهذه هي الجادة المفتوحة التي توصلكم حتماً الى معرفة المطلق .

الصلة والبث لا يكونان الا بين الاشباه . وكي نتفهم السر الكامن في اعماق كل شيء علينا اولاً معرفة كيفية الانزلاق الى السر الكامن في خبايا انفسنا .

ولا اراكم تجهلون هذا كله . انتم تنظرون بدهشة الى اشياء عدة صاعدة من وجدانكم الأعمق وانتم عاجزون عن تعليلها وتتبع مصدرها وينابيعها : غرائز ، ميول ، جاذبيات ، اندفاعات ، بصائر . هذه هي . ومنها يولد بشكل لا يدفع اكبر التأكيدات والاثباتات لشخصيتكم . هناك يكمن ايضاً «انا» الحقيقي السرمدي وليس هو «انا» الخارجي الذي تشعرون به في الاجساد التي تضمكم . ذلك « انا » الذي هو وليد الهيولية يحيا بها ويموت بموتها هذا «انا» الخارجي ، هذا الوجدان البين الواضح ينتشر بتقلب الحياة الدائم ويغوص نحو ذاك الوجدان المخبوء الذي يميل نحو الصعود والظهور . ان قطبي الكائن الحي : الوجدان الخارجي البارز والوجدان الداخلي المستتر يميلان الى الانصهار بعضاً في بعض . فالوجدان البارز يقوم بالتجارب ويحولها الى ذاته ويهضمها ويبث نتائج ما حول وهضم في الوجدان المستتر بواسطة الحركة المستمرة . تقطير القيم ومقاييس حركة الحيوان ستكونان غرائز المستقبل وهكذا ستنتشر الشخصية بهذه المقايضات التي لا انقطاع لها ويتحقق هدف الحياة الاكبر . وعندما يصبح الوجدان المستتر واضحاً جلياً و «انا» تعرف حق المعرفة كل شيء عن ذاتها ، في ذلك اليوم يكون بوسعنا ان نجاهد ونقول : إن الانسان قد انتصر على الموت . (وسنتعمق فيما بعد في هذه المسألة .

ان دراسة علوم المبدأ الروحاني للحياة هي من اهم الدراسات التي تقدمون عليها . فالآلة الجديدة للبحث والاستقصاء التي يجب ان تنموها والتي هي آخذة بالنمو بطبيعة الحال هي الوجدان المستتر .

لقد تطلعتم بما فيه الكفاية الى ما هو خارج عن كيانكم . والآن حاولوا مشكلة هذا الكيان ذاته واذا تمّ لكم ذلك فقد حللتم المشاكل الاخرى . عوّدوا الفكر فيكم رويداً رويداً ان يتتبع هذا النظام الجديد من التفكير ، واذا عرفتم كيف تنقلون محور شخصيتكم الى هذه الطبقات العميقة ، ستشعرون بتكشف فيكم عن حواس جديدة وعن قوة مسالمة للادراك وقدرة مباشرة على الرؤية . وهذا كله الحدس الذي سبق لي وكلمتكم عنه . طهروا وارهفوا آلة الاستقصاء التي هي انتم انفسكم وحينئذ تستطيعون ان تروا .

اولئك الذين لا يشعرون مطلقاً بهذه الاشياء والذين لم ينضجوا النضج كله ، ليتنحوا وليعودوا الى التمرغ في اوحال رغائبهم الدنيئة وليدعوا السؤال عن المعرفة التي هي جائزة سنية تمنح فقط للذي يستحقها بعد الكد والكدح .

الفصل الثالث : البراهين

اذا لم يعد ضميركم يدهشكم بقبول اي احتمال جديد ، كيف تستطيعون اذا ومقدماً ان تنكروا شكلاً من الوجود يختلف عن شكل الوجود الذي يبرز فيه جسمكم الطبيعي؟

يجب ان يخالجكم على الاقل الاحتمال بحياة اخرى يهمسها « أنا » في اذنكم كل حين . هذه الحياة الاخرى التي تحلمون بها في كل رغائبكم واعمالكم بلا وعي منكم متبعين في ذلك سبيل غريزتكم ليس الا . كيف يتسنى لكم الاعتقاد

بان أرضكم هذه الصغيرة التي ترونها تسبح في الفضاء كحبة رمل في اللانهاية تضم بين جنبيها شكلاً وحيداً محتملاً للحياة في العالم؟ كيف تعتقدون بان حياتكم المفعمة بالآلام والمسرات الزائفة المتناقضة يمكن ان تمثل حياة الكائن الحي كلها ؟ .

ولكن الم تتأملوا وتحلموا بشيء اكثر سمواً اثناء كدحكم وتألمكم ونصبكم الطويل المدى ؟ تعالوا ، سأدلكم على اكتشافات كبرى سأدلكم خصوصاً على اكتشاف تزيز (اهتزاز Vibration) الروح التي بواسطتها يسمح للاشخاص الذين هم ارواح الاتصال بذلك الجزء منكم الذي هو روح مثلنا . اصغوا الي واتبعوني ، ما هو بحلم جميل ولا بكشف خيالي للمستقبل هذا الذي ادلكم عليه : انما هو الغد غدكم . كونوا اذكياء على علو قدر علمكم ، كونوا حديثين وحديثين جداً . وستبصرون الروح التي هي حقيقة الغد وتلمسونها بالبراهين الذهنية وبارهاف اجهزتكم العصبية وبارتقاء آلاتكم العلمية ، فالروح هناك بانتظار وستهتز منها المدنيات .

ان الحقـائق الفلسفية الاساسية التي قد طرحت على بساط البحث والمجادلة منذ آلاف السنين ستصبح قابلة للحل منطقياً بالعقل وحده فقط لان ذهنكم يكون قد ارتقى كثيراً . فما كان من قبل ، لقوى عقلية اخرى عقيدة وغوامض دينية سيصبح مسألة منطقية بسيطة سيصبح اذاً حقيقة بديهية لدى كائن مفكر .

الا تعلمون بأن الاكتشافات التي قام بها الانسان هي وليدة اعماق النفس التي لمست ما بعد الطبيعه؟ من اين يأتي بريق العبقرية ، والفن المبدع والنور الذي يرشد قواد الشعوب . ربمـا تجدون الافكار الكبرى التي تحرك العالم وتجعله يتقدم ، ربما تجدونها في بيئة مزاحماتكم اليومية ؟ او تجدونها في الظواهر الاجتماعية التي يلاحظها العلم ؟ ولكن من اين يأتي هذا كله وما مصدره ؟ .

انتم لا تستطيعون نكران النمو والنجاح ، والهيولية ايضاً تلك التي صيرتكم شكاكين انها اضطرت لان تتلفظ بكلمة : التطور . انتم انفسكم ايها الجاحدون تتأجج فيكم ثورة الرغبة للارتقاء . ولا يحق لكم ان تنكروا على العقل بأنه في اضطراب نحو النمو والنجاح وبان ثمة رجالا اكثر تقدماً من غيرهم فلا يمكن اذاً ان يكون مستحيلاً عـلى العقل والعلم ، التسليم بان البعض منكم قد بلغوا حسب قانون التطور شعوراً عصبياً فـائقاً بدرجة انهم يستطيعون تلقي ما انتم عاجزون عن ادراكه : الموجـات الروحية مثلاً الوسطاء الروحانيون . آلات حقيقية لتلقي التيـار والافكار هذه هي اعلى درجة في الوساطة وهي في بعض الاحوال وجدانية خالصة ومتى اتسع للوسطاء المجال لاقامة علاقات مرنانة (Syntonie) سيستخدمونها للهدف الاسمى .

كثير من الوسطاء يسمعون بحاسة جديدة روحية . يسمعوننا بذهنهم لا بآذانهم . فكلمة مرنانة معناها القدرة على الرنين . اما معناها الروحي فانجذاب وتعاطف اعني قدرة الاحساس على الاجماع والاتفاق . ليكن بواسطة علم الاصوات او الكهرباء او روحياً فمبدأ تزيز (اهتزاز Vibration) هو دائماً ذاته لان النـاموس هو واحد في كل الحقوق .

من لا يسمع ينكر بالطبع . ولكنه لا يقدر وليس له الحق بأن ينكر على الآخرين حقهم في الاستماع . من ينكر يطلب البرهان ليعود ويرتد عن نكرانه وهو ايضاً مستعد ليستسلم فقط بعد ان يلمس حوادثاً معلومة ضرورية لهؤ الاشخاص الذين هم من طراز واحد وعقلية . ألم تفكروا قط بنسبة نفسانيتكم المستوجبة على حسب درجة التطور في كل واحد منكم ؟ اما فكرتم قط بأن مـا يؤثر في عقل احدكم لا سلطان له في عقل آخر وان كل انسان يلح في طلب البرهان لنفسه ؟ ؟ ما اكبر عدد البراهين التي يجب ان نقدمها كي يحس كل فرد منكم بأنه لو مس في مشاعره الخاصة ! ونقدم ايضاً لكل واحد منكم حادثة تداخل حياته في الاعماق وتتغلغل في مداركه للحياة وتقوم على توجيه كل اعماله حتى اثبات القول بالقياس لا يجدينا نفعاً امام جميع الناس على السواء لان البينات هي احياناً مجادلات فبدلاً من ان تقنع تنقلب الى انفجار ظالم ومنازعة تسخط الانفس وتغيظها .

خلاصة : اما ان تكون لكم طهارة النفس وسلامة النيات وحينئذ تسمعون في كلماتي الحقيقة بدون براهين خارجية (هذا هو الحدس) لقوة لهجتها ومضمونها . وإما ان تكونوا ذوي رثاء تتقربون منا ورائدكم هدف مضاعف : الهدم والانتفاع ، لانكم فوق كل حديث وجدل قد وضعتم سلفاً مصلحتكم الخاصة . وهكذا قد تسلحتم لتدفعوا اي برهـان من البراهين . فالحادث ليس هو بخارجي كي يمكن تقدير قيمته بالحواس ويقبل دائماً الجدل لمن يريد ان ينكره ، ولكنه هو حادث باطني اصيل جوهري .

انا اتكلم أيها الانسان عن مصيرك ، عن انتصارك وعن آلامك في الغد ، الغد القريب العاجل لا ذاك البعيد . ان كلماتي تعطيك احساساً اعمق جديداً للحياة وللمصير ، اعني حياتك ومصيرك انت .

مصطفى آل عبال

الشاعر

☆

محمد مجذوب

طرطوس — سورية

.. تسرّ « غيداء » الى أمها
الشعر يا أماه باب الردى
فقلما جاوز عمر الصبا
يسبح من دنيا خيالاته
ريّان من فيض جراحاته
يقضي لياليه نجيّ الرؤى
ولا أنيس غير أوراقه
والموت ينساب بأحنائه
كشعلة تسرع في زيتها
.. درس من الشعر شجانا به
أجرت له أدمعنا رحمة
فلنحمد الله على أننا
.. ولم تكن تعلم واحسرتا

وما درت أني بها شاعر
أول ما يدخله الشاعر
في الارض هذا الملهم الثائر
في عالم قلّ به العابر
وقد براه الظمأ الساعر
في عزلة ليس بها سامر
يحنو عليها جفنه الساهر
يكاد لا يخطئه الناظر
حرقاً وفيه الأجل القاهر
بيان استاذتنا الساحر
وكاد يجري دمعها الحائر
لا شاعر فينا ولا ناثر ..
ان أباها ذلك العاثر !

☆

الطبيعة الغاضبة

☆

للآنسة دعد الكيالي

الرملة — فلسطين

أترى هذه الغيوم دهاليز بقصر قد شيد في الظلماء ؟
أترى ذلك الضباب بخوراً جنة أضرمته في الأجواء ؟
وأنين الرياح ؟ هل هو أسطورة حرب في مسمع الغبراء ؟
أترى هذه السيول دماء من حروب الاسطورة الشعواء ؟
وزئير الرعود يقصف قصفاً ؟ أتراه قذائف الاعداء ؟
أعواء الرياح ضحكة هزء أطلقتها شفاه دهر حقود ؟
أو قصف الرعود ثورة جن صعدتها قماقم من حديد
فانبرت تحطم الاسار وخفت كالأعاصير دوّمت في الرعود ؟
أم تراه صياح قوم عبيد أرهقوا من عهود قوم ثمود ؟
أترى هذه الغيوم قبور فغرت جوفها لبلع الوجود ؟
ذكرتني مجاهل الخوف فيها بزمان الانسان ذاك البعيد ؟
عندما كان في المغاور يحيا وظلال الغابات مثل الاسود
أنا اهوى طبيعة الكون غضبى انا قلبي صب بكل غضوب
انا أهوى الجمال طلقاً عنيداً أنا قلبي إلف الفضاء المهيب
أيهذي الغريبة الحسن هيا فاعزفي لي لحن الجمال الرهيب
أيهذي الغضوب ذات الأحاجي ذكريني بهول يوم عصيب
حطّمي العرف واذهبي فتغني عربدات الهوى بعين الرقيب



الحب العذري

للاستاذ موسى سليمان – ١٤٤ صفحة – دار العلم للملايين بيروت

اعرف الاستاذ موسى سليمان من بعض مقالات قرأتها له في الصحف والمجلات . وقد سمعته يتحدث في الجامعة الاميركية في اكثر من موضوع ادبي فلاحظت انه أديب يعرف كيف يعرض الفكرة العميقة في اسلوب طلي رائع . وهذا الكتاب ، كتاب الحب العذري الذي بين يدي هو خير شاهد على ما اقول .

ان الحب العذري ظاهرة غريبة في الأدب العربي استرعت انتباه الادباء الكثيرين من عرب و فرنجة و لكنني ، على ما اعلم ، لم أر احداً من هؤلاء الادباء قد تصدى لبحث هذه الظاهرة بالطريقة العلمية التحليلية التي جاء بها الاستاذ سليمان في كتابه .

وها انني أوجز للقراء بعض الافكار التي جاءت في هذا الكتاب الجميل محاولاً ان أقف عند بعضها :

وفق المؤلف في تقسيم كتابه الى خمسة اقسام سمى كل قسم منها باسم رمزي فجاءت كما يلي : دنيا الاساطير ، عصارة السحر ، سراب الصحراء ، عالم الآلهة ، المجانين العباقرة .

بحث في دنيا الاساطير في العشق عند الامم القديمة المتحضرة على ضوء الاساطير التي وصلتنا عن اليونان والرومان والفراعنة والفينيقيين . اما عصارة السحر فليست هذه التسمية الا للعشق عند العرب وقد جاءت على لسان احد رواتهم عندما سئل : ما هو العشق عندكم يا أعرابي ؟ قال : هو عصارة السحر ! والحقيقة ان هذا الفصل في البحث عن العشق عند العرب موفق الى حد بعيد ففيه فكرة واضحة جلية عن تقدير العرب في الاسلام للحب تقديراً كبيراً وفيه نظرة العرب العامة الى الجمال والمثل الجمالية التي كانوا يتعبدون لها ! .

امـا سراب الصحراء فهو الحب العذري نفسه على ضوء الروايات الادبية التي وصلتنا في كتب الاصول العربية . وقد استطاع المؤلف ان يلم بهذه الروايات الـمـام المؤرخ الدقيق وان يستنتج الاستنتاجات الصحيحة فيعطينا تحديداً صحيحاً كاملاً للحب العذري العربي كما ورد في كتب الأدب .

وقد فسر الكثيرون من ادبائنـا وادباء الغرب الحب العذري العربي بالحب الافـلاطوني اليوناني مما حمل المؤلف على ان يخص هذا الحب الاخير بفصل قائم بذاته درس فيه كتاب المائدة للفيلسوف افلاطون وتمكن ببساطة فائقة ان يعرض امام القراء هذا الكتاب الجميل ذاكراً سلم الحب الافلاطوني التي تتألف من سبع درجات اولها حب الجمال في شكل واحد معين وآخرها حب الجمال المطلق – مجابهة الحق الجميل . وتوصل اخيراً في هذا الفصل الى ان يجد فروقاً كبيرة بين هذين الحبين سواء كان في طبيعتها او في التأثير الذي تركه كل منها .

وينهي الاستاذ سليمان كتابه بفصل شيق يدرس فيه دراسة ادبية تحليلية وباسلوب فيه من الامتاع الشيء الكثير ، المجانين العباقرة وما المجانين العبـاقرة غير الشعراء العذريين انفسهم وفي مقدمتهم مجنون لبنى ، وقيس ليلى ، وعروة حبيب عفراء .

وليس من شك ان في هذا الفصل نقاطاً عديدة لا يمكن للأديب ان يمر بها مروراً سريعاً . ففيه مجموعة طيبة من الشعر الغزلي الذي يستحق ان يقارن بأجمل الشعر الغربي واعذبه . وفيه حكايات هؤلاء العشاق المساكين يسردها المؤلف بأسلوب ممتع عند الحاجة اليها فتأتي وكأنهـا القافية الحلوة في البيت الشعري الجميل ! وفيه فوق هذا وذاك تعريف جديد للعذرية وما تحمله من معان . فعذرية هؤلاء الشعراء في عرف المؤلف ليست قائمة على ابتعادهم عمداً عن لمس الحبيب وتقبيله او على التهرب المقصود من الشهوة الجسدية التي تثور في كل عاشق ، كلا ليست العذرية قائمة على هذا بل هي في الحقيقة تعني الحب الصحيح العميق، وهي تعني وقف الحبيب حبه على حبيب واحد اي الاخلاص اخلاصاً قد يكلفه حياته والحياة ارخص تضحية عند الحب العذري . والعذرية هي في شدة الهيام يظهره الحبيب العذري الى حبيبه اما القول ان العشـاق العذريين كانوا عفيفي النفس شريفي الحب فهذا صحيح ولكنهم لم يكونوا من طينة الملائكة على حد تعبير المؤلف ولم يكونوا فوق البشر فلماذا يحاول الرواة والادباء من بعدهم ان يحرموا هؤلاء الشعراء من نعمة الحب ولذته الطبيعية ؟ وبعد ان تعرض الاستـاذ سليمان بسرعة الى نظريات بعض علماء الاجتماع الغربيين في الحب الجسدي والدور الذي يلعبه هذا الحب ، انهى

كتابه بكلمة مخلصة الى شباب البلاد الطالع ليقتدي في حبه ، بالشعراء العذريين « فهم شعراؤنا وقد نبضت قلوبهم كما تنبض قلوب الانسانية الحساسة ، فعاشوا انسانيين في حبهم ، فلم ينحطوا ولم يتبذلوا فيحولوا حبهم الى شهوة ملحة غاصبة بل ارتفعت بهم شهواتهم الجسدية فأصبحت حباً انسانياً شريفاً كاملا . »

واذا كان لي من كلمة انهي بها حديثي فهي ان كتاب الحب العذري يجمع الى طلاوة الاسلوب وعمق البحث وصدق الاستنتاج أنه باكورة ادبية تدل على فهم وتذوق يستحق الاستاذ سليمان عليها التهنئة والتشجيع ، اما دار العلم للملايين التي عملت على اخراج الكتاب اخراجاً فنياً جميلا فليس لنا الا ان نهنئها وان نطالب اليها مواصلة العمل في اتحاف العالم العربي بمثل كتاب الحب العذري .

كامل عضيمي

قصة الاستقلال في سورية ولبنان

للايدي سبيرز ، ترجمة منير بعلبكي — ١٥٩ صفحة — دار العلم للملايين بيروت

هذا كتاب يجب ان يقرأه انصار الجبهتين في لبنان ، يجب ان يقرأه الاولون لانه يبسط حوادث الاستقلال وملابساته كما هي . ويجب ان يقرأه الآخرون لانه يريهم الحقيقة المختفية وراء جميع المظاهر اللماعة .

يخرج قارىء هذا الكتاب — او يجب ان يخرج على الاصح — بخمس ملاحظات :

١ — ان المؤلفة قد بسطت الاحوال التي شهدتها في سورية ولبنان بسطاً صريحاً جريئاً ، ولعل بعض الرجال لا يجرؤون جرأتها في ذلك .

٢ — يلمح القارىء ان اكثر الذين « غاصوا » في قصة الاستقلال لم يفعلوا ذلك لوجه الاستقلال وحده .

٣ — ان الانكليز قد ساعدوا اهل سورية ولبنان على بلوغ الاستقلال كما كان عام ١٩٤٣ ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك خدمة للبنان ولا لسورية ، ولكن لان مصالحهم يومذاك كانت تتفق مع هذه السياسة التي نهجوها .

٤ — ان « قصة الاستقلال » لم تكن لتنتهي بمثل ما انتهت به لولا ان الافرنسيين قد ارتكبوا اخطاء لم يكن بالامكان السكوت عنها ، ولذلك لم يبق بد من ان ينتهي عهد الانتداب الافرنسي .

٥ — هنالك ملاحظات فكاهية تتعلق بالجهاز الاداري ومبلغ فهمه للتعابير الدبلوماسية من ذلك مثلاً ان ورقة وصلت الى السير ادوارد سبيرز (زوج المؤلفة) مكتوب عليها « سري جداً » ، ولكنها كانت تتضمن ملخص اخبار الراديو في الاسبوع السابق .

على ان هنالك ملاحظات اخرى قد يكون بعضها من الطرافة بحيث يموت الانسان منها ضحكاً او غماً ايضا .

***

ويجب الا تنتهي هذه الكلمة قبل ان اشير الى اللغة المشرقة التي سكب فيها الناقل مادة الكتاب الانكليزي ، كما ان شكره واجب على البراعة التي استطاع ان يعبر بها عن بعض الملاحظات الجارحة والتعابير النابية التي نثرتها المؤلفة في كتابها .

هذا كتاب « تاريخ حقيقي » يضع امور « قصة الاستقلال » موضعها الصحيح ويعطي كل ذي حق حقه بلا زيادة .

عمر فروخ

١ — اشواك

للاستاذ سيد قطب — ١٤٨ صفحة — نشرته دار سعد مصر — القاهرة

ما تزال القصة العربية تسعى بخطى حثيثة في اثر القصة العالمية ، لما يبديه ادباؤها من نشاط وتمرس . والقصة عالم يزخر بالحياة المتنوعة ، فهي والحق عرض مبسط وتحليل شامل لالوان الحياة التي يحياها جماعة ما في زمن ما وقد تسمو بموضوعها فتشمل الانسانية بميولها ونزعاتها . ولم يخف على ادباء العربية ما تمتاز به « الرواية » عن سائر الفنون فانكبوا على معالجتها ودرسها ولا سيما أن الادب العربي القديم يكاد يكون خلواً من هذا الفن الجديد . وليس ادل على رغبتهم من هذه القصص والمحاولات التي تخرجها المطابع في مصر ولبنان وسائر الاقطار العربية .

والقصة التي نحاول تعريفها للقارىء العربي هي واحدة من هذه المحاولات التي يسعى مؤلفها الاستاذ سيد قطب السير بالقصة الى الانسانية الشاملة .

وتجري العادة ان يبدأ الناقد بتلخيص الحادثة التي بنى عليها المؤلف طرفته الفنية ولا بد لنا من القول : ان « اشواك » قصة بين شاب وفتاة ، تبدأ حوادثها ليلة خطوبتها اذ تعترف له الفتاة تلك الليلة ، وهما بعيدان عن الانوار والموسيقى ، بان لها ماضياً شائكاً ، وان شخصاً آخر قد انفتح له قلبها واحبته ، وهي ما تزال تحفظ هذه الذكرى بشيء من الحنين . ويبدأ الصراع ، فهو تارة يطرد من ذهنه هذه الاشواك المسمومة لما يلمسه فيها من انطلاق وبهجة ، وتارة لا يستطيع احتمال المفاجآت فهو ضيق

الصدر مثقل بالهموم، ويطلب منها ان يهتدي الى الشخص «ضياء» صاحب الماضي ، فلا يرى عنده العزم الصادق للزواج منها . وتقضي الايام، فهو يزورها كل مساء، وقد يصطحبها الى السينما، والاشواك تلاحقها وتختفي : يذللانها تارة بهذا الاغراء الذي تكسبه الفتاة في نفسه حين تعزف امامه على البيانو (ص ٥١ — ٥٢) او بهذه الفتنة حين تستجيب له بدلال وسحر (ص ٧٩) ، وتظهر نافرة تارة اخرى حين يشهد الاثنان موضوع قصتها بتفاصيلها معروضة في فيلم سينمائي (ص ٤٧-٤٨-٤٩) اوحين يقدم لها قصة من قصص موباسان تدور حوادثها حول سيدة اخطأت في ماضيها (ص ٩١) او حين يلقاه احد رفاقه في الطريق ويحذره من الفتاة لانه رآها من قبل مع الشاب الضابط ضياء. (ص ٥٤).

وتقع الجفوة بينهما فيفترقان ، وصلة الحنين بين كليهما ما تزال قوية جارفة ، واعترمت الفتـاة آخر الامر ان تقبل اي شخص يطلبها للزواج بينما انصرف الشاب في طريقه تدفعه الفتـاة على المضي في عمله الادبي لأنه اكثر دواماً واخلد ص (١٣٧)، وتنتهي القصة بينهما الى صداقة بريئة رائدها التقدير والاحترام .

وانني استميح الاستاذ سيد قطب العذر فيما اذا كنت اسأت التلخيص ، لانه اعجز بكثير من ان يفي بموضوع القصة ومتعتها التي سبكها حضرته، وان هذا الاثر الذي يستهدف الخلق والابداع يشوهه هذا الايجاز المقتضب .

فالقصة تدور اذن بين هذين الشابين تعالج موضوعاً طالعنا به المؤلف من الصفحة الاولى وهي تصور هـذه العقدة النفسية التي تخالجها ادق تصوير ويعرضها المؤلف ببيان جلي واطلاع وافر مما يدل على مقدرته في معالجة موضوع شائك كهذا ، فضلاً عن هذه الخلجات النفسية التي يسبر غورها فينفذ الى اعماق الشاب بما فيها من ضروب النوازع المتنافرة ، وهذه الرجرجة التي تتفاعل بهـا عاطفة الفتاة ، فهي تحن الى عهدها الماضي، ولم تتردد ان تعلن امام خطيبها هذه الفترة المائعة التي امضتها مع ضياء ، ومع ذلك فهي تحب خطيبها ، وترى فيه من المزايا ما يحملها على تناسي الماضي ، تقول له في معرض الحديث (ص ٤٠) : « لا تضحك اذا قلت لك : انني في بعض اللحظات اتمنى ان يباح لي زواجكما معاً : انت وهو (اي ضياء) ليت ذلك كان ممكناً ، انني احبه فقط حينما احس ان كل شيء بيننا سينتهي الى الابد ، واحبك انت عندما احس انني ساحرم منك » .

وقد اجاد المؤلف حين جلى باسلوبه ذلك الصراع الذي تجاوب في نفسيها حين غادرا السينما واجمين واذا بها تفاجئه بالعزف على البيانو .

اما الشاب — وهو المؤلف نفسه — فقـد ظهرت شخصيته واضحة بما يتفاعل فيها من حب يبلغ حد العنف، ومن ماض شائك يتمثل في عينيه فهو حائر يكاد يفقد اليقين وهذا الذي جعله يفسر تصرفاتها تفسيرات شتى حتى ولو كانت ليست بذات اهمية .

ويجدر بي ان ألفت نظر المؤلف الى بعض الملاحظات التي اغفلها فهو لم يوضح لنا مثلاً مدى العلاقة بين فتاته والشاب ضياء مع ان القصة تدور حول هذا الماضي ، كما انني انبهه الى بعض المقاطع التي حشرها ولم ترد شيئاً في وحدة الموضوع بل ربما اضعفتها ولست اعرف سبباً لهذه الصفحات التي امضاها بانتظـار الموعد (ص١٨) كما ان الحوار عنده لا يخلو من ضعف وان كان قد وفق في بعض المواقف . فحديث التليفون تافه واكاد اقول جاف لانه لا يبعث على التشويق (ص ١٤ ...) .

وكنت اتمنى لو أن المؤلف (ص ٥٨) جعل الفتاة وجهاً لوجه مع صاحبها الضابط حين صحبها المؤلف احدى العشيات يفتشان عن اخيها وانتهيا الى قسم البوليس ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وقد استغل الاستاذ قطب هذا الموقف للتدليل امام ضابط القسم بانه هو بالذات الذي يكتب في الصحف !

على ان هذا لا يبخس «اشواك» قيمتها، وقد كتبت باسلوب ينسجم مع اساليب القصة ، فضلاً عن بيانه في صوغ خفايا النفس وما تحبسه في سريرتها من ميول ورغبات . انه يتساءل في ذهول بعد ان وقعت الجفوة بينهما وهو ينظر الى الترام الذي اعتاد ان يركبه اليها : « انه لا يذهب الى هناك ، فلماذا يسير الترام ؟ ويفيق من ذهوله فاذا « الكون يستطيع ان يكون دون ان يكون حبه الكبير ، وان الحياة تستطيع ان تمضي وان وقف حبه الى حدود وان القطار والترام يسيران وان لم ينقلاه الى هناك » .

وبالاجمال فكتاب «اشواك» من المحاولات الموفقة في فن القصة ومما يبشر بمستقبل زاهر للاستاذ سيد قطب في حقل هذا الفن .

٢ — ولادة وابن زيدون

للاستاذ عبد الرزاق الهلالي — ١٠٢ صفحة — مطبعة المعارف — بغداد

هذه دراسة يحاول صاحبها ان يضع امام القارىء مدى علاقة الشاعر الاندلسي ابن زيدون بولادة ابنة المستكفي . وقد قدم لهذه الدراسة الاستـاذ بدوي احمد طبانه احد اساتذة دار المعلمين العالية في بغداد .

يبدأ المؤلف دراسته بكلمة عن طبيعة الاندلس وما حباها الله من مناخ وانهار وعيون ، ثم يصف بايجاز حياة الشاعر ابن زيدون وما لحقه من نفي وتشريد . ثم يأتي على ذكر ولادة ابنة المستكفي وما كانت عليه من ظرف وجمال والمام بالشعر ، ويحاول السيد الهلالي ان يستقصي العوامل التي صرفتها عن الزواج فيستشهد بآراء حديثة في علم النفس الى ان ينتهي بهـا الى الهستريا !! ويذكر المؤلف حب ابن زيدون لولادة وما قاله السيد فيها من شعر صادق عنيف ، ويثبت في آخر الدراسة نص الرسالة التي كتبهـا ابن زيدون على لسان ولادة لغريمه في حبهـا الوزير أبي عامر ابن عبدوس ، مع منتخبات شعرية اتماماً للفائدة .

والحق أن هذه الرسالة ليست من الدراسات التي تعمد صاحبها البحث والاستقصاء ، وقد لا نظلم صاحبها اذا قلنا ان ما ينقصها هو الروح العلمية الشاملة . فاسلوبها غير علمي ، يتسم بطابع انشائي فيه من التعميم الشيء الكثير ، ولكن ثمة عذراً نستطيع ان نخفف به عن السيد الهلالي اذا ما عرفناه شاباً يحاول في دراسته هذه ان يستطلع «اخبار الحب والغرام» (ص ٧ و ٨) كما يردد ذلك كثيراً في سياق بحثه .

احمد عويدات

١ ـ مدحت باشا ٢ ـ روبسبير
٣ ـ جمال الدين الافغاني ٤ ـ شوبان

للاستاذ قدري قلعجي – ١١٢ صفحة – سلسلة اعلام الحرية
دار العلم للملايين – بيروت

مما يسر الباحث العربي ان يرى الانتاج الحديث الذي ما تفتأ المطابع العربية تملأ به رفوف المكتبات لا يقتصر على النوع الرخيص الذي عكف اكثر الادباء في السنوات الاخيرة على اصداره ، ولا هدف لهم الا الحصول على الربح الوافر باثارة غرائز القراء ، وتضليلهم وتحويلهم عن النظر الجدّي في المشـاكل الفكرية والاجتماعية الكثيرة التي تضعها الحياة امام بلادنا في هذه المرحلة من نهضتنا القومية وتطلعها الى النور والحرية . ففي زحمة هذه المؤلفات الرخيصة الكثيرة مؤلفات قليلة ، ولكنها جليلة القدر ، عظيمة النفع ، لا ترمي الى تلك الاغراض التجارية والاهداف التي تنحرف بنهضتنا وقوميتنا عن طريقها السوي . وانما تنزع قبل كل شيء الى توطيد هذه النهضة على دعائم صحيحة راسخة ، والى بناء هذه القومية بناء قوياً متيناً . وقد نوهنا في اعداد سابقة ببعض هذه المؤلفات . وسنتحدث في هذا العدد عن هذه المجموعة التاريخية النفيسة التي يصدرهـا صديقنا الاستاذ قدري قلعجي باسم اعلام الحرية ، وتنشرها دار العلم للملايين والتي تؤدي خدمة كبرى للقارىء العربي والثقافة العربية لمـا تحمل في تضاعيفها من آراء مفيدة ومعلومات شيقة وتوجيه وطني حميد .

وقد سبق ان تحدثنا في احد اعدادنا عن الكتـابين اللذين استهل بهما الاستاذ قلعجي هذه السلسلة ، وهما كتاب سعد زغلول رائد الكفاح الوطني في الشرق العربي وكتاب ابراهيم لنكولن محرر العبيد وموحد الولايات الاميركية . وقد تلاهما كتاب قيم عن البطل التركي الملقب بابي الاحرار وخالع السلاطين لما كان له من يد عظيمة الاثر في إعلاء راية الحرية في البلاد العثمانية يوم كان يسودها الجهل والفقر والاستبداد في آخر عهد السلاطين ، وهو عهد مظلم كان لمدحت باشا الفضل الاكبر في انارة آفاقه بشعـل الحرية الذي حمله امام الشعب التركي والشعوب الخاضعة للحكم العثماني . فاذا هي تسير في موكب تراصت صفوفه واتحدت اغراضه على اختلاف ما بينها من تفرقة في اللغة والقومية والعنصر والدين ، قد جمعها ما تكابد من نير ، ووحدها ما تطمح اليه من حرية . حتى تم لها ما تنشد من استقلال ومجد ، وحتى تقوضت عروش السلاطين وقام على انقاضها الحكم الجمهوري في البلاد التركية .

اما الكتاب الرابع فقد خصه المؤلف بحياة روبسبير بطل الثورة الفرنسية . وهو كتاب قالت احدى الصحف فيه انه اول دراسة علمية كاملة في اللغة العربية عن هذه الثورة . وهو قول صحيح نضيف اليه ان هذا الكتاب قد صحح بما تضمنه من تحقيق دقيق وجهة النظر المدرسية الى روبسبير والى عهده المعروف في التاريخ بعهد الارهاب . فالشائع ان روبسبير كان ديكتاتوراً ارهابياً دموياً قوّض الثورة الفرنسية بما سفك من دم وما ازهق من ارواح ، فاذا بالمؤلف يرسم لنا صورة مناقضة تماماً لتلك الصورة التقليدية الخاطئة هي صورة محببة الى القلوب لما يتصف به صاحبها من صدق واخلاص وتواضع وحياء عظيم . ولما كافح في سبيله كفاحاً جاهداً من مثل وطنية وانسانية رفيعة ، واذا به يؤكد لنـا بالبراهين التاريخية ان روبسبير ورفاقه الذين عرفوا باليعقوبيين وفي طليعتهم النابغـة سان جوست هم الذين اوصلوا الثورة الفرنسية الى غايتها الصحيحة وهي تحرير بلادهم من حكم الاقطاع ، وانه لولاهم لذهبت هذه الغاية ضحية القادة الآخرين الذين اعتاد المؤرخون تسميتهم بابطال الثورة مع ان اكثرهم قد خانوها وهي في منتصف الطريق .



أين نحن من الثقافة

بقلم يوسف اسعد داغر

امين دار الكتب اللبنانية

☆

قد تعجب ايها القارىء العزيز، من حديثنا عن المكتبات في الولايات المتحدة بعد الذي رأيت وسمعت عن العناية البالغة بالمكتبات في البلاد الانكليزية* ؟

قد يزول عجب القارىء، ودهشه اذ يعرف ان المكتبة هي من المميزات الفارقة في خلق الشعب الاميركي والحضارة الاميركية ولعلها ابرز العوامل في تمييز الكلية الاميركية عن نظيرتها الاوربية فاينما سرت في عشرات المدن ومئات القرى، في تلك الجمهورية العظيمة، رأيت كل بلدة وقرية ودسكرة ومدرسة لها مكتبة على الاقل او بضع مكتبات عمومية. وهذه المكتبات على اتصال تام ودائم بالمدارس والاندية والسكان، تنعم بالاموال الطائلة، ترصدها لها مجالس البلديات والولايات والاندية والجمعيات، عدا عن الهبات الطائلة التي يغدقها عليها الاغنياء. وتعد بعض المكتبات الجامعية في اميركا من اكبر مكتبات العالم على الاطلاق:

فمكتبة جامعة هارفرد اكبر مكتبة جامعية على الاطلاق في العالم، فقد بلغ عدد كتبها سنة ١٩٣٧ نحو ٣،٦٠٢،٠٤٠ مجلداً. وتبلغ مكتبة جامعة كولمبيا زهاء اربعة ملايين. واذا قارنا مكتبة هارفرد او كولمبيا باكبر مكتبات العالم عامة. اي غير الجامعية، فاننا لا نجد بينها من يفوقها سوى المكتبة البريطانية في لندن، والمكتبة الاهلية في باريس ومكتبة الكونغرس في واشنطون ومكتبة نيويورك العمومية ومكتبة موسكو الوطنية ومكتبة لنينغراد العمومية.

اما ما تجده في هذه المكتبات من سهولة العمل والبحث والتدقيق فاني اترك للسيد يعقوب فام امر وصفه لك، قال:

« العادة المتبعة في المكتبات ان يدخل الانسان الى قاعة الفهارس ويبحث عن الكتاب الذي يريده بنفسه، وبعد ان يستخرج نمرة الكتاب الذي يرغب فيه يعطيها للموظف المختص ويكون عادة واقفاً الى مكتبه، ينتظر تلبية الطلبات. فيذهب العامل الى خزانات الكتب ويعود بالكتاب المطلوب في ثوان معدودة ويقيده في لمح البصر لحساب طالبه ويعطيه له. وكل هذه العملية من دخول المطالع والتفتيش عن رقم الكتاب وتسجيله على اسم طالبه لا تستغرق دقيقتين.

ذهبت مرة الى مكتبة المدينة في نيوهافن لاستعارة كتاب كنت قد سمعت به، يبحث في احدى قضايا علم النفس، واخذت اقلب عنه في الفهارس على اختلافها، فلم اعثر عليه، فاقفلت الادراج وهممت أن اعود من حيث اتيت. فلمحتني الموظفة، فاقبلت علي سائلة عن الامر. فاخبرتها القضية وكيف اني لم اعثر على الكتاب المطلوب، فاستفهمت مني عن ذلك الكتاب واخذت عنواني وعنوانه قائلة سوف نطلب الكتاب ومتى حضر سوف اخبرك. ذهبت الى منزلي واشتغلت بمسائل اخرى، وما مرت ثلاثة ايام الا وصلتني من ادارة المكتبة بطاقة بريد تخبرني فيها انها قد ابتاعت الكتاب المذكور الذي كنت بحثت عنه وانها احتجزته على ذمتي لمدة اربعة ايام، فان لم اذهب الى المكتبة في بحر اربعة ايام لتسلمه، فالمكتبة في حل من اعارته لغيري ».

ويعلق الاميركيون اهمية كبرى على المكتبات في تربية الاطفال. وقد أوصى مؤتمر البيت الابيض على انه يجب ان تحوي كل مدرسة مكتبة.

وقد قال احد المربين في اميركة: يجب ان تكون مكتباتنا العمومية من الاستعداد بحيث يستطيع الانتفاع بها لا اقل من اربعين مليون نفس، منهم خمسة عشر مليوناً من الاطفال، وهذا

* راجع العدد الماضي.

لا يتم الا بتعاون المجالس البلدية ومجالس الولايات المتحدة على انشاء المكتبات في مختلف الجهات . وليعلم الآباء ان من اول واجباتهم ان يحببوا المطالعة الى اولادهم ، وان يوجدوا في منازلهم من الكتب ما يتمكن الاطفال من مطالعته والاستفادة منه .

واليك مثلاً آخر عن مكانة الكتاب في حياة الاميركي حتى الجندي منهم . فقد جاء في الشذرات رقم ٢٧ التي اذاعها المكتب الاميركي لانباء الحرب في بيروت ما يلي : « في سنة ١٩٤٠ كان للجيش الاميركي ١٤٧ مكتبة للمطالعة ، وقد ارتفع عدد المكتبات في الجيش الاميركي ، سنة ١٩٤٣ فبلغ ألفين ما خلا مكتبات الاسطول البحري والسفن التجارية التابعة له ومصلحة خفر السواحل . وفي مكاتب الجيش في الولايات المتحدة وفي ميادين القتال ٧ ملايين ونصف مليون كتاب ، اضف اليها المجلات الصادرة في مواعيدها . وقد طلبت ادارة المسارح التمثيلية في نيويورك ، من كل واحد من المترددين عليها ان يتكرم بجلب كتاب جديد لاهدائه الى مكاتب الجيش ، فلباها الجمهور اكرم تلبية .

اما عناية الشعب الاميركي بمكتباته فظاهرة من الوصف الذي خصه الاستاذ منصور جرداق للمكتبة الوطنية في واشنطون ، قال : « تحسب المكتبة الوطنية في واشنطون افخر المباني الاميركية هندسة ونقشاً واتقاناً ، وقد تم بناؤها وتجهيزها سنة ١٨٩٧ وبلغت نفقاتها نحو سبعة ملايين ريال اميركي . والمبلغ الذي زاد عما خصصته لها الحكومة ، ومقداره ٧٠٠٠ ريال ارجع الى خزانة الدولة ، فكان اعظم دليل على نزاهة الذين تولوا العمل . والمكتبة المذكورة مبنية بحجر المرمر المتين والرخام الابيض ، ومؤلفة من ثلاث طبقات تغطي ما مساحته اربعة افدنة اذ يبلغ طولها ٤٧٠ قدماً وعرضها ٣٤٠ قدماً ، وطول الاروقة الداخلية ١٥٠ قدماً بعرض ١٠٠ قدم ، ولها نحو الفي شباك ونافذة ويدخل منها النور الى كل زاوية في النهار . وتنار ليلاً بالكهربائية الساطعة التي تجعل الليل نهاراً ، ولست اغالي اذا قلت ان مقدار النور الكهربائي فيها يبلغ مجموع النور الكهربائي في مدينة بيروت ! .

والبناء مزين من الداخل باشهر انواع الفسيفساء الملونة ، والاعمدة وقواعدها وتيجانها من اغرب آيات الصناعة وادقها واتقنها ، وترى الصور بالفسيفساء الملونة والعبارات البليغة والتعابير الفصيحة واقوال الحكماء المشهورين ، مالئة السقوف والجدران والاعمدة ، وجميعها توحي الى النفس اسمى العواطف وارق الشعور .

وغرفة المطالعة اجمل غرف المكتبة بترتيبها واتقانها وزينتها ، فهي مستديرة الشكل ، قطرها ١٠٠ قدم وفي كل من زواياها الثمانية يرتفع عمود رخام جمل اعلاه قاعد لقنطرة مستديرة ، فوقها افريز مستدير فيه من النقوش والرسوم ما يحير العقل ، وفوق الافريز الاضلاع التي تحمل القبة النحاسية .

اما عدد الكتب في المكتبة فاكثر من ثلاثة ملايين كتاب ، هذا فضلاً عما فيها من الخارطات والمخطوطات وكتب الموسيقة وكتب العميان ذات الاحرف البارزة . ولو مدت رفوف المكتبة وجعلت في خط مستقيم لبلغ طولها ١٠٠ ميل ، والكتب مبوبة ومنمرة بفهارس خاصة مطبوعة على فيش ، وقد ارسلت الحكومة نسخاً تامة عنها لجميع مكاتب الجمهورية ليطلع عليها جميع القراء ، حتى اذا اضطر احدهم ان يستعير كتاباً غير موجود في مكتبة مدينته او بلدته حصل عليه بواسطة الادارة المحلية اينما كان . وهكذا يتسنى لجميع الشعب الانتفاع من كتب اعظم مكتبة في الولايات المتحدة » .

هذه كلمة موجزة في ما للكتاب من منزلة في انكلترا واميركا واني لواضع تحت انظار القارىء الكريم بعض نماذج خاطفة من امم اوروبية اخرى ، اشتهرت هي ايضاً بتعزيز الكتاب . فهذه تشيكوسلوفاكيا تعتبر من اغنى اقطار العالم في قاعات المطالعة العامة ، ويوجد بجوار هذه القاعات الضخمة المكتبات المخصصة للدراسات ، وقاعات مطالعة محلية اخرى يبلغ عددها ١٧٠٨٩ وتكثر المكتبات في طول البلاد وعرضها حتى ان لكل ٨٧٠ شخصاً مكتبة .

وفي براغ ، عاصمة البلاد ، مكتبة عامة بها اكثر من ١٠٠٠٠٠٠ مجلد ، وتنفق الدولة والسلطات المحلية على هذه المؤسسات بسخاء .

وانشأت روسيا السوفياتية ، في موسكو متحفاً لكتب الاطفال وهو يقوم بجمع كتب الاطفال من انحاء العالم في مختلف العصور ، كما انه يبحث في هذا الموضوع ويجعله في متناول الجميع . وقد وضعت هذه المجاميع في مكتبات الاطفال ومعاهد التعليم واقبل عليها الكتاب الذين يهتمون بموضوع الطفل ، كما يسدي النصائح للوالدين والمعلمين بالاهتمام بالطفل وبتشويق المطالعة لديه . ويحتوي المتحف المذكور ، زيادة عن قاعة المطالعة ، على معرض للاشياء والصور ونسخاً من الكتب المصورة . وبهذا المعرض صور تبين مراحل الطباعة والتجليد من البدء الى ان يخرج الكتاب الى السوق .

وفي سنة ١٩٣٦ تأسست في مدينة البندقية في ايطاليا ، مكتبة خاصة بالاطفال ، فيها ما يزيد على ثلاثة آلاف مجلد . وقد وضعت الكتب في خزائن واطئة ليتوصل الاطفال اليها بسهولة وراحة . وتوجد كتب اخرى محفوظة في خزانات مقفلة لا يسمح للاطفال بمطالعتها ، وهذه الكتب معدة لمطالعة طلاب دور المعلمين الذين سيعهد اليهم بأمر تربية الاطفال بعد تخريجهم . والطريف في هذه المكتبة ان جميع كتبها مختارة بعناية فائقة ، فلا يوجد بينها كتاب ممزق او رديء التجليد او سيء الطبع او غير ملائم من حيث المادة . وقد عينت لجنة خاصة من الذين عرفوا بالوقوف على نفسية الاطفال وتربيتهم لاختيار الكتب لهذه المكتبة . وتراعي هذه اللجنة ، في مقدمة ما تراعي ، جمال مظهر الكتاب الخارجي وحسن رسومه ووضوحها واسلوب كتابته .

وفي مكتبة ستوكهولم التي انشئت عام ١٩٢٩ ، قسم خاص بالاطفال يحتوي على ترتيبات خاصة بافاداتهم . ففيها اقسام خاصة بالراشدين الذين تجاوزوا السابعة عشرة من اعمارهم ، واقسام خاصة اخرى بالاطفال والمراهقين الذين لم يبلغوا بعد هذا العمر . وزيادة على ذلك فان فيها قاعة خاصة بالاطفال الصغار الذين لم يتعلموا بعد القراءة والكتابة . وفي كل يوم من ايام الشتاء يجتمع في هذه القاعة — قاعة الحكايات — جماعة كبيرة من الاطفال الصغار ويستمعون الحكايات التي يقصها عليهم اناس بارعون في فن القصة .

وقد بلغ عدد الاطفال الذين دخلوا هذه المكتبة خلال السنة الاولى من افتتاحها ١٤٠،٠٠٠ وبلغ عدد الاطفال الذين دخلوها في يوم واحد ١٣٠٠ .

واسمع بعد هذا الدكتور زكي مبارك الذي درس في اوربا ، وطوف في انحائها راحلاً في طلب العلم ، واكتنه سر العظمة التي تجلت له في امما وبلدانها ، اسمعه يقول : « ان الكتاب هو سر العظمة الاوربية ، فما تفوقت اوربا الا بفضل الحرص على مسايرة الحيوات العقلية في الشرق وفي الغرب ، وما ارتفع رجل في اوربا الا وهو مزود باصدق واجود ما صدر في القديم والحديث »

الحق اننا لم نفهم اوربا فهما صحيحاً ، ولم نعرف السر في حيويتها العارمة ، ولم نلمح من خصائصها غير اطياف . ان اوروبا مزودة بزواد عقلية لا تخطر لاكثر الناس في الشرق على بال . هل تذكرون كلمة كارليل حين قال : ان انكلترا تفضل آثار شكسبير على اقطار الهند ، لو اكرهتها الحوادث على الاكتفاء باحد هذين المغنمين . تلك هي العقلية الاوروبية وذلك هو الفهم الذي يمتاز به اولئك الناس .

ان اساس المدنية يرتكز على العلم في جميع العصور ، حتى عصور الظلم والاستبداد ، الم تر ان مغامرات هتلر والحرب التي اضرمتها اوحى بها كتاب . ان المدافع والطيارات والاساطيل ليست الا تعابير عن جانب من طغيان القوة الفكرية ، كما ان الآداب والفنون تعابير عن جانب من ذلك الطغيان .

تطلع علينا الدول العربية ، الحين بعد الاخر ، ببيانات واحصاآت تدل دلالة صريحة على نمو معدل المتعلمين فيها وازديادهم سنة فسنة . والمدارس على اختلاف درجاتها تخرج في العام الواحد الوفا من الشبيبة فيطرد بذلك ازدياد عدد المتعلمين في صفوف الامة العربية .

وسيرتفع هذا العدد في الاقطار العربية ، كل بحسب استعداده وجهازه العلمي والتربوي ، ولا يمضي ربع قرن على شرقنا العربي حتى تكون قطعت شعوبه مرحلة قصية في القضاء على الامية فيه ومحاربة الجهل الفاشية في بعض الاقطار والمناطق . كل هذه الاعتبارات تدعونا بشيء من الالحاح والالحاف بالطلب ، الى مواجهة قضية المطالعة او قضية ما بعد المدرسة في الاقطار العربية مواجهة صادقة صريحة ودون ما هوادة .

يعرف الجميع ان المدرسة على اختلاف درجاتها وتنوع مناهجها ، لا تعطي التلميذ سوى المبادىء الاولية في الآداب والعلوم والفنون فالمدرسة بوتقة تتولى ، على الاخص ، سكب معدن الطالب ، نفسه وجسمه ، فتصقل عقله وتربي فيه الحس وتنمي شعوره ، وتنبه قواه وتقوم استعداداته وميوله ، فتبث فيه افضل الطرق وامثل الاساليب ليكون رجلا ، بما في هذا المدلول من معنى وقوة . فاذا ما حدثته نفسه بالتكمل العلمي ، انصرف الى الدرس والمطالعة ليطفىء ما يشعر به في نفسه من رغبة الاطلاع واشباع نهمه العلمي والادبي . فالمدرسة ، اذاً ، عاجزة وحدها عن اعطاء كمال المعرفة واشباع ميول العقل والفكر في الطالب ، وايلائه الثقافة . فالعلم والثقافة هما ربيبا البحث والمطالعة ، لا وجود لهما الا في قماطر الكتب وبين رفوف المكتبات وخزائن المؤلفات .

يوسف اسعد داغر



٢٥ حزيران ١٩٤٧ – صرحت بعض المقامات الرسمية في لندن ان بريطانيا جادة في سبيل تحقيق مشروع مارشال حتى ولو رفضت روسيا الاشتراك في العمل .

٢٦ – صدق مجلس الوزراء الايطالي على مشروع القانون المتعلق بالموافقة على معاهدة الصلح الايطالية .

– رفضت الحكومة الرومانية الاحتجاج الاميركي على الحالة الداخلية في رومانيا .

٢٧ – اذاعت الحكومة اليونانية بياناً اتهمت فيه البانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا بانها تغذي حرب العصابات ضد الحكومة اليونانية .

٢٨ – صرح الجنرال ايزنهاور بأنه لا يستطيع ان يستبعد امكان نشوب حرب خلال الاثني عشر شهراً القادمة .

٣٠ – اكتشف في فرنسا مؤامرة لقلب الحكم والغاء الجمهورية وقد اعتقل منظم المؤامرة وعدد كبير من انصاره .

١ تموز – رفض مولوتوف باسم روسيا الاشتراك مع فرنسا وبريطانيا في مشروع مرشال لانعاش اوربا بحجة ان هذا المشروع يخضع الاقطار الاوربية للنفوذ الاميركي .

٢ – اضربت الصحافة اللبنانية ثلاثة ايام متوالية احتجاجاً على التعطيل الاداري المعمول به منذ زمن الانتداب .

٣ – قرر بيدو وبيفن مواصلة تطبيق مشروع مارشال دون اشتراك روسيا في المباحثات بعد ان رفض مولوتوف الموافقة على هذا المشروع .

٦ – صرح سفير الولايات المتحدة في الهند ان حكومة الولايات المتحدة سوف تعترف باستقلال دولتي الهند فور تأسيسها في ١٥ آب المقبل .

– جرت اشتباكات عنيفة في تريستا بين العناصر الايطالية واليوغوسلافية اثناء اجتماع عقده اتحاد الشبيبة المعادية للفاشستية .

٧ – شرع الشعب السوري في انتخاب نوابه الجدد في جميع المحافظات ما عدا جبل الدروز الذي تأجل موعد انتخابه .

– اعلنت نقابة المحامين في بيروت الاضراب احتجاجاً على الاجراءات غير القانونية التي اتخذت في اعتقال الاستاذ محسن سليم احد اعضاء النقابة بتهمة التحريض على القاء القنابل .

٨ – قال وزير سوريا المفوض في واشنطون اثناء اجتماعه بالجنرال مارشال : ان المساعدة التي تحتاجها سوريا هي اقتصادية واجتماعية لا عسكرية لان سوريا تعمل في سبيل منع الحرب .

٩ – اعلن ملك وملكة انكلترا موافقتهما على خطبة الاميرة اليزابيت ولية العهد على الامير فيليب مونتباتن ابن الامير اندرو اليوناني .

١٠ – اعلنت الاحكام العرفية في ايران .

– اعترض الرفيق غروميكو مندوب روسيا في مجلس الامن على الطلب الذي تقدمت به النمسا للانضمام الى هيئة الامم المتحدة .

١١ – قدم سفير مصر بواشنطن الى مجلس الامن عريضة الدعوى على بريطانيا التي تطالب بوحدة النيل وجلاء الجيوش البريطانية عنه .

– صادق البرلمان المصري على اعتماد قدره ١٠ ملايين ونصف من الجنيهات لمشروع كهربة خزان اسوان .

١٢ – وقعت الولايات المتحدة وتركيا اتفاقية في انقرة بحجة مساعدة تركيا للمحافظة على استقلالها ضد الضغط الروسي .

١٣ – وصلت الى اليونان امدادات عسكرية بقيمة ٣٥ مليون دولار لتجهيز القوات اليونانية المسلحة للقضاء على العصابات .

١٤ – ادلى وزير الدولة البريطاني بتصريح نفى فيه ان تكون بريطانيا تحبذ مشروع سوريا الكبرى معلناً ان موقفها منه حيادي .

– تحاول موسكو احباط مؤتمر باريس بعقدها اتفاقيات تجارية مع حليفاتها تشيكوسلوفاكيا ، المجر ، بلغاريا ، ورومانيا .

١٥ – نسفت « جمعية الدفاع عن فلسطين العربية » الباخرة « قريس » اليهودية واعلنت الجمعية ان بواخر اخرى سوف تتبعها .

– اقترح احد النواب الجمهوريين في الكونغرس الاميركي قطع العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي .

١٧ – اعلن المندوب السوفياتي الدائم في هيئة الامم المتحدة بأن القرار الذي يقضي بتعيين لجنة تحقيق دائمة تشرف على شؤون البلقان انما هو قرار مناف لمبادىء ميثاق الامم المتحدة .

١٨ – رفضت لندن دعوة الولايات المتحدة الى الاشتراك بمؤتمر واشنطن للبحث في انتاج الفحم الالماني .

– خصصت واشنطن مبلغ ١٢٢٥ مليون دولار لمساعدة البلاد التي خربتها الحرب .

١٩ – شطب اسم بولونيا من لائحة الدول التي تشملها المساعدة الاميركية بحجة انها تحت سيطرة روسيا .

– انتهت الانتخابات التكميلية في سوريا واكتمل بذلك عدد النواب الجدد وقد فازت المعارضة بكثير من المقاعد ولا سيما في حلب وحمص

٢٠ – صرح ناطق بلسان السفارة السوفياتية في وشنطن بان الاتحاد السوفياتي رفض الاشتراك مع الولايات المتحدة في مؤتمر تحضير معاهدة الصلح مع اليابان .

– اغتيل في بورما ستة وزراء اثناء انعقاد المجلس الاداري في رانجون .

٢١ – داهمت القوات الهولاندية اندونيسيا فجأة واستطاعت احتلال قسماً من المراكز الهامة واعتقال نائب رئيس الوزراء ، وقد بدأ القتال بين الفريقين على اشده بحراً وبراً وجواً .

– اتهم توريز سكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي مشروع مارشال لانعاش اوروبا بان الغاية منه تعمير المانيا .

– تقول بعض البرقيات ان قوات الانصار اليونانية شنت هجوماً جديداً تدعمه نيران المدفعية اليوغوسلافية .

٢٢ – عقدت لجنة التحقيق الدولية في قضية فلسطين جلستها الاولى في وزارة الخارجية اللبنانية .

– تلقت السلطات الايطالية انذاراً من « جمعية الدفاع عن فلسطين » لتسهيلها سفر المهاجرين اليهود اليها .

٢٣ – وصل الى نيويورك النقراشي باشا لعرض قضية مصر على مجلس الامن .

– وافق مجلس الامن الدولي على اقتراح اميركي ينص على اعتبار الحالة في اليونان تشكل خطراً على السلام .

٢٤ – صرح رئيس الوزارة الفرنسية بان دولته مستعدة لقبول اليهود المشردين .

– قدمت اليمن طلباً للانضمام الى منظمة الامم المتحدة